بسم الله الرحمن الرحيم

**المقدمة**

الحمد لله الذي يفتتح كل حديث بشكره، ويبتدأ كل مقال بذكره، فهو الأول لم يزل، والباقي بلا أجل وصلى الله على سيدنا محمد رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

فإن الخطابة من الفنون الأدبية التي عرفها الإنسان منذ عهد مبكر، وهي تهدف إلى التأثير في نفوس السامعين واستمالتهم وإقناعهم، ولم يستطيع الأنبياء أن يهدوا الأمم إلا بقوة المنطق وبراعة البيان، أما العرب قبل الإسلام فكانت صناعة الخطابة لديهم راقية مقارنة بما كان لدى الشعوب آنذاك. ولما جاء الإسلام كانت للخطابة المكانة العالية، فقد اعتمد النبي ﷺ في تبليغ رسالته على البيان بالخطابة، واتخذها وسيلة لنشر الدعوة الإسلامية الجديدة، وكان آية في البلاغة والفصاحة واللسان.

والخطابة السياسية هي لون من ألوان الخطابة عرفها العصر العباسي الأول. تحلت بقوة الألفاظ وفصاحة العبارة وبلاغة الصور والتراكيب، ومن خلالها حرص الخطباء العباسيون على تثبيت أركان حكمهم، وتوطيد الدعائم لملكهم، فاستخدموها للدفاع عن أنفسهم واجتذاب الناس إليهم بعد أخذهم السلطه من الأمويين، وقد ظلت الخطابة الساسية مزدهرة، إبان العصر العباسي وخاصة في بدايته، في مرحلة توطيد أركان الدولة وبيان شرعية الخلافة. ومن خلال هذه الدراسة سنحاول الكشف عن الوسائل البيانية التى استعملها العباسيون لتحقيق أهدافهم.

**أسباب اختيار الموضوع :**

1. القدرة التعبيرية الفائقة للخطابة .

2. أهمية الخطابة في توطيد أركان الدولة العباسية، وقدرة الخطباء على إدارة الصراعات السياسية بالبيان .

3. إن الخطابة لم تحظ بالقدر الكافي من الدراسات، إذ استأثر بها الشعر.

**مشكلة الدراسة :**

تكمن مشكلة الدراسة في :

إثبات أهمية البيان فى تحقيق الأهداف السياسية للخطابة فى العصر العباسي الأول .

**أسئلة الدراسة:**

1. ما الأسباب التي أدت الى ارتقاء الخطابة فى العصر العباسي الأول ؟.

**2.** كيف أثبت العباسيون أحقيتهم بالخلافة ؟.

3. ما الوسائل البيانية التي استخدمها العباسيون لإقناع الناس بأحقيتهم بميراث النبي صلى الله عليه وسلم ؟.

**أهداف الدراسة :**

1. بيان أهمية فن الخطابة في عملية التطور الأدبي، وتأثير الأحداث السياسية في طبيعة الخطابة وخصائصها .

**2.** بيان أنواع الخطابة في العصر العباسي الأول.

**3.** إبراز الأساليب البيانية المتوفرة في الخطابة السياسية في العصر العباسي الأول.

**أهمية الدراسة :**

إبـــراز القيمـــة والأســـاليب الجماليـــة التـــي اســـتقتها الخطابـــة السياســـية مـــن البيـــان .

**حدود الدراسة :**

الخطابة السياسية في العصر العباسي الأول

**منهج الدراسة :**

اعتمدت هذه الدراسة علي المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي حسب الحاجة فى ثنايا الدراسة

## هيكل البحث:

احتوت هذه الدراسة على مقدمة وتمهيـد وفصـلين، وخاتمة وقائمـة باسـماء المصادر والمراجع. اشتملت المقدمة على أسباب اختيار الموضوع وأسئلة الدراسة، وأهداف الدراسة، وأهمية الدراسة وحـدودها، والمـنهج الـذي اتبعتـه الدراسـة، وأما فصول البحـث جاءت على النحو الأتـي :

## الفصل الأول :الخطابة

المبحث الأول : الخطابة لغة اصطلاحاً.

المبحث الثاني : نشأة الخطابة.

المبحث الثالث : أركان الخطابة وعناصرها.

المبحث الرابع : الخطابة في العصر العباسي الأول.

## الفصل الثاني : وسائل البيان في الخطابة

المبحث الأول : علم البيان.

المبحث الثاني : وسائل لأساليب البيان.

المبحث الثالث : التحليل البياني فى الخطب السياسية فى العصر العباسي الأول.

الخاتمة وتحتوي على النتائج والتوصيات التي توصلت لها الدراسة.

**الدراسات السابقة :**

**الدراسة الأولى: الخطابة في العصر العباسي دراسة تحليلية**

رسالة ماجستير من إعداد الطالب: النوراني عبد الكريم كبور وإشراف البروفسر: صالح آدم بيلو جامعة امدرمان الإسلامية 2002م. اتفقت مع دراستى فى تناولها للخطابة الدينية والسياسية والاجتماعية، واختلفت مع دراستى في تناولها للخصائص الفنية والفكرية للخطابة الدينية والسياسية والاجتماعية والعوامل المؤثرة فيها.

**الدراسة الثانية: التوجيه التربوي من خلال خطاب الرسل لأقوامهم كما جاء فى القرآن الكريم**

رسالة ماجستير، من إعداد الطالب: مصطفى يوسف محمد منصور وإشراف الدكتور: محمد خليل أبودف، الجامعة الإسلامية غزة، فى العام2002م اتفقت معي فى أن الخطابة كانت آداة الرسل فى الدعوة إلى الله، وتختلف عن دراستى فى أهدافها التربوية.

**أهداف الدراسة:**

1.التعرف إلى مفهوم التوجيه التربوي في الإسلام وأسسه التي يقوم عليها.

2. تحديد مجالات التوجيه التربوي من خلال خطاب الرسل لأقوامهم كما جاء في القرآن الكريم.

3. التعرف إلى مقومات التوجيه التربوي من خلال خطاب الرسل لأقوامهم كما جاء فى القرآن الكريم.

4. بيان أساليب التوجيه التربوي من خلال خطاب الرسل لأقوامهم كما جاء في القرآن الكريم.

5. الكشف عن معوقات التوجيه التربوي من خلال خطاب الرسل لأقوامهم كما جاء فى القرآن الكريم.

**نتائج الدراسة:**

1.أن القرآن الكريم الذي اشتمل على خطاب الرسل عليهم السلام لأقوامهم، يمثل الإطارالمرجعي للتوجيه التربوي؛ إذ يستمد منه أسسه ومقوماته، وأن المنهج التربوي القرآني يقدم للإنسان كل ما يحتاج إليه من تربية وتوجيه في جميع المجالات العقدية والفكرية والأخلاقية والاجتماعية، وفي جميع جوانب الإنسان.

2. أن التوجيه التربوي الإسلامي يختلف عن غيره في المضمون والمفهوم، فهو إرشاد وإعداد للدنيا والآخرة، وهو أهم ما يميزه عن غيره؛ إذ يقوم على الفهم الواعي للنفس البشرية، وعلى مسئولية الفرد وتكليفه واستخلافه في الأرض، إنطلاقًا من التصور الإسلامي للإنسان والكون والحياة، كما أنه أشمل من غيره، أيضا فهو ليس محصور في إطار الواجب الوظيفي للموجهين فقط، لكنه مسئولية المربي والبيت والمدرسة والمجتمع والمسجد.

3.يقوم التوجيه على أساس حرية الإنسان، فلا قسر ولا إكراه بل نصح وبيان وحكمة وموعظة حسنة، يأخذ في الاعتبار الاختلاف في أصل الخلقة (الفروق الفردية)، لأنها لازمة لتحقيق الاستخلاف في الأرض وإعمارها، مما يعني أنه ليس هناك عمل وضيع أو عمل عظيم ولكن هناك عامل وضيع وعامل عظيم.

4. يقوم التوجيه التربوي فيما يقدمه من توجيهات؛ على أساس ربط الإنسان بالله خالقه، ومربيه مما يؤدي إلى تكوين الاستعداد النفسي والفكري لتلقي أوامر الله، إلى جانب تقوية الوازع الديني لتجنب الفساد والانحلال.

5.يهدف التوجيه التربوي الإسلامي إلى تحقيق توازن بين الروح والعقل والجسد، بمراعاة جميع جوانب الشخصية الإنسانية من ناحية، وتحقيق المفهوم الشامل لمعنى العبادة في الإسلام من جهة

أخرى، حتى تؤتي ثمارها، كما أن التوجيهات جاءت لجبر قصور العقل البشري وتطهير فكره من الشرك وأنها عالجت كل قضايا الإنسان.

**الدراسة الثالثة: الخطابة فى النثر الجزائرى الحديث، موضوعاتها وخصائصها**

رسالة دكتوراه: إعداد الطالب: عيسي بن ساعد مدود إشراف: أ.د عبد القادر دامخى، جامعة الجزائر، فى العام2005م اتفقت مع دراستى فى تعريف الخطابة فى اللغة والاصطلاح، والخطابة عند اليونان والرومان، والخطابة عند العرب، من العصر الجاهلى إلى الحديث وتحدث فى جزء يسير عن الخطابة فى العصر العباسى وخاصة السياسية منها، والتى أكد من خلالها سعى العباسيين فى إثبات حقهم بالخلافة، وتختلف مع دراستى فى تناولها للخطابة الجزائرية.

**هدف الدراسة:**

الإطلاع على أحوال الجزائر، من خلال ما سجلته الخطابة وعبرت عنه موضوعاتها والخصائص التي تميزت بها.

**نتائج الدراسة:**

1. خلص البحث إلى أن أجناس النثر الفني فى الجزائر منها الخطابة قد عرفت تغيرا فى الصياغة والشكل، وتحررت من القوالب المحفوظة ومالت إلى السهولة والبعد عن التعمية، وبخاصة فى الفترة التي ظهرت فيها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

2.كما خلص البحث إلى أن الخطابة فى النثر الجزائري الحديث لم تقف عند موضوع واحد، بل عالجت أكثر من موضوع، حتي أننا لا نكاد نجد نصا خطابيا تفرد بقضية واحدة، بل تزاحمت فيه قضايا مختلفة وذلك قصد تعرية الواقع ومعالجته.

3.قرأ البحث خصائص الخطابة فى النثر الجزائري الحديث قراءة فنية، انتهى إلى أن الالتزام والواقعية سمة بارزة فى النص الخطابي لدي خطباء الجزائر وبخاصة خطباء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

4. انتهى البحث إلى أن اللغة في خطبهم يغلب على ألفاظها السهولة والمباشرة؛ إذ كان همهم الوقوف على المقاصد مباشرة، لذا تعاملوا مع اللغة تعاملا مباشرا.

5.أما عن الأسلوب فقد توصل البحث إلى أن الوضوح سمة بارزة فيه لتعلقه لتعلقه بإقناع المتلقي واستمالته.

**الدراسة الرابعة: وسائل الإقناع فى خطبة طارق بن زياد دراسة تحليلية فى ضوء نظرية الحجاج**

رسالة ماجستير من إعداد الطالبة: سليمة محفوظى وإشراف الأستاذ: محمد بو عمامة . جامعة الحاج لخضر فى العام2011م ،اتفقت مع دراستى فى تعريف البيان، واختلفت معى فى تناولها لخطابة طارق من ناحية الحجاج.

**أهداف الدراسة:**

1.تسليط الضوء على تطور نظريات الحجاج قديما وحديثا.

2.إبراز أهم نظريات الحجاج البلاغي في ضوء نظرية البلاغة الجديدة.

3.الكشف عن المنطق الحجاجي المتبع في نص الخطبة.

**نتائج الدراسة:**

تعود دراسة النص الحجاجي إلى أزمنة خلت، ابتداء من مؤلفات أرسطو لا سيما فى الخطابة، ثم ما توارثه العرب عن أصول الخطابة انتهاء إلى الإرث الثقافي الضخم الذي أحاط بكل ما يمكن أن يطرأ على هذا النص من خلال تطبيقات كبار المفكرين والفلاسفة. الحجاج عنوان كبير لممارسات فكرية نشيطة، يتسرب إلى كافة مناحي الحياة، وعند الجميع من أبسط الناس مستوى إلى أكثرهم

لددا وقوة فى الخصومة ، فالحجاج من أهم أنواع الخطاب تندرج تحته أجناس عدة باعتبار وجود عناصر مهمة، والعمل الحجاجي الناجح الذي استوفى كل الشروط المؤدية إلى الإقناع من خلال المرتكزات المنطقية والأساليب اللغوية. بحيث يمكن أن يشكل الحجاج مذهبا للناس، يقوي فيهم روح البحث والتدقيق فيما يعرض عليهم . وبخاصة الأطفال . وينمي وظيفة العقل ويمنحعه مناعة ويجعله لا يقبل مايررى وما يسمع من أخلاق غريبة وعادات فاسدة، وأنماط تفكير منحرفة في وسائل الإعلام الغربية، لأن التلقي حينها سيكون قادرا على مواجهة كل ذلك بالحجة الصائبة الدينية والأخلاقية والعقلية، بل على المسلمين أن يستفيدوا كما استفاد الغربيون في توظيف الحجاج في فعل أهم شئ، العوة إلى القيم الروحية للإسلام الحقيقي .

يعد طارق بن زياد من أشهر زعماء المقاومة الإسلامية فى العصر العري الوسيط، وقد استطاع بواسطة عقيدة الإسلام وسماحة الدين ويسر الشريعة الربانية أن يتعلم القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وبفضلها فتح الأندلس ونشر الإسلام في شبه الجزيرة الأيبيرية، وتعتبر خطبته التي ألقاها على مسمع من اثني عشر ألف جندي أقدم نص نثري فى الأدب المغربي، ون ثم يكون طارق بن زياد أول أديب مغربي أرسى دعائم الأدب فى المغرب العربي ووطد أسسه الفنية والجمالية على مرتكزات أسلوبية آية في الروعة والبيان والتصوير الفني فقد حفلت خطبته بحجج منطقية مؤسسة على بنية الواقع ساهمت بشكل كبير في التأثير والإقناع بل أكثر من ذلك كان حافزا قويا للنصر الذي أدى إلى فتح الأندلس وبالإضافة إلى الحجج المتنوعة، فقد صاغ خطبته بإسلوب رائع تفاعلت فيه البنى اللسانية ( كالربط، الازدواج، التكرار، والإحالة. )

**الدراسة الخامسة: الخطابة عند الفاروق دراسة إسلوبية**

رسالة ماجستير من إعداد الطالب: عبدالله على جابر المري وإشراف الدكتور: عبدالرؤوف زهدي مصطفى، جامعة الشرق الأوسط عام 2012م.اتفقت مع دراستي فى تعريف الخطابة فى اللغة والاصطلاح، وتعريف علم البيان وعناصر الخطابة، وأوجه الخلاف فى الموضوع الذى تناولته كل دراسة .

**أهداف الدراسة:**

تهدف هذه الرسالة إلى دراسة الخطابة عند الفاروق من ناحية الأسلوب، من خلال دراسة تفصيلية لهذا الجنس الأدبي، من حيث البناء الفني.

**نتائج الدراسة:**

1.أظهرت الدراسة أن النص الخطابي نص إبداعي لا يقل مكانة عن النصوص الإبداعية الأخرى بما يحويه من لغة فنية، وصياغة أدبية محكمة، واستخدام للأساليب البلاغية المختلفة.

2. بينت الدراسة تعدد الظواهر الأسوبية وتنوعها، وانتشار هذه الظواهر في خطب الفاروق كلها.

3. أكدت الدراسة أن الخطابة فن قديم من فنون الكلام والتعبير يقصد به التأثير على الشعوب في شتى الأغراض الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية.

4. تميزت خطب الفاروق بالصراحة التي لا تعرف المجاملة على حساب الحق، التي فاق بها من عاش في عصره.

**الدراسة السادسة: البيان فى خطب الحجاج بن يوسف**

وهي رسالة ماجستير من إعداد الطالبة: فطيمة بلخيرى وإشراف د: عبدالحميد عباسي. جامعة محمد خيضر؛ فى العام2015م. اتفقت هذه الدراسة مع دراستى فى تعريف الخطابة لغة واصطلاحا وفى

تعريف علم البيان، واستشهاد الخطباء بالقرآن الكريم والشعر فى خطبهم، واختلفت مع دراستى فى تناول الخطابة عند الحجاج بن يوسف.

**أهداف الدراسة:**

1. التعرف على خصائص الصورالبيانية فى النص الخطابي عند الحجاج بن يوسف.

2. قرأت بعض من تراثنا النثري العربي وخاصة الخطابية منه، وتذوق معانيه، والاستمتاع بصوره البيانية من استعارات وتشبيهات وكنايات.

**نتائج الدراسة:**

1.تعد الخطابة من فنون النثر القولى،هدفها التأثير في جمهور السامعين واستمالتهم واقناعهم بالحجج و البراهين، وقد انفرد هذا الفن في العصر الأموي بجملة من السمات والخصائص ميزته بعض الشيء عن العصور الأخرى .

2. سعى الحجاج بن يوسف الثقفي إلى توظيف التشبيه في خطبه، لأنه وجد فيه وسيلة ناجحة للتعبير و التصوير، إذ أنه يرسم صورة واضحة الملامح تساعد المتلقي على استيعاب الفكرة، وتبرز بلاغة هذا اللون التصوير في أنه يخلي براعة الخطيب وحذقه في عقد مشابهة بين صورتين ما كان يخطر في البال تشابههما ،فأضفت هذه النقلة بين الصورتين البعيدة و القريبة لمسة سحرية حركت بها عواطف سامعيها.

لقد استعان الحجاج بالاستعارة وحاول الاستفادة من مميزاتها في تشكيل صوره والتعبير عن أفكاره، فتوسل بالتشخيص و جعل المعنى المجرد كائنا محسوسا له ملامحه وأبعاده، وله قدارته في بعض الأحيان على الحس و الحركة .

**الدراسة السابعة: فن الخطابة فى العصرين الأيوبى والمملوكى الأول دراسة تحليلة أدبية .**

رسالة ماجستير من إعداد الطالب: عامرفتحى محمد الشيخ أحمد، واشراف الدكتور: سعود محمود

عبدالجابر. جامعة الشرق الاوسط فى عام 2015م. اتفقت مع دراستى فى تعريف الخطابة فى اللغة والاصطلاح، وأهمية الخطابة وأركان الخطبة، واختلفت مع دراستى فى تناولها للعصرين الأيوبى والمملوكى .

**أهداف الدراسة :**

1. بيان دور الخطابة في نهضة الأمة فى العصرين الأيوبي والمملوكي الأول.

2. جمع أهم الخطب الملقاة في هذين العصرين، وتناولها بالتحليل الأدبي الذي يركز على المستويين التركيبي والبياني.

3. بناء تصور عن الواقع الأدبي في هذين العصرين من خلال عرض موجز لبعض الخطب المهمة فيهما، مع القيام بعقد مقارنة أدبية تتناول السمات الفنية والتركيبية بين الخطابة في هذين العصرين.

**نتائج الدراسة:**

1. كان العصر الأيوبي يمثل فترة النشوء لردة الفعل الإسلامية ضد الغزوين الصليبي والتتري ويمثل العصر المملوكي الأول فترة النضوج والاستقرار وبسط السيطرة.

2. لم تشهد الخطابة السياسية للخلفاء وقادة الفرق والأحزاب نشاطا واسعا على غرار ماكان معهودا فى العصرين الأموي والعباسي، وذلك للانشغال الأكبر وهو رد الخطر الخارجي الذي جعل الجميع يتوحد خلف القيادة السياسية، وبسبب الخطاب الديني المعتدل الذي تبناه قادة كلا الدولتين الذي كان يستمد شرعيته من الخلافة العباسية.

3. شهدت الخطابة الاجتماعية فى العصر المملوكي ازدهارا أكثر مما كانت عليه فى العصر الأيوبي، وذلك بسبب حالة الاستقرار النسبي الذي شهدته الحواضر الإسلامية في ذلك الوقت.

**الدراسة الثامنة: بلاغة النثر فى العصر الأموي**

رسالة ماجستير من إعداد الطالب: لعانى غانية وإشراف الدكتور: عبدالقادر سكران من جامعة أحمد بلة فى العام2015م . اتفقت مع دراستى فى الحديث عن الخطابة والاستشهاد فيها بالقرآن الكريم، والأسلوب الخطابى واختلفت مع دراستي فى تناولها للخطابة فى العصر الأموي.

**أهداف الدراسة:**

تهدف الدراسة للبحث عن أبلغ نصوص بني أمية النثرية، واكتشاف مظاهر البلاغة فيها، وهذا نظرا لأهمية البلاغة فى الفنون النثرية المختلفة، وتطور أساليب البلاغة التي تميزت بالبساطة في هذا العصر. ويضاف الي ذلك أن هذه الدراسة تهدف إلى الفهم الحقيقي لسر وجود البلاغة العربية الأصلية، التي تحققت في الشعر أولا. خاصة فى الشعر الجاهلي . ولذلك لا يمكن معرفة كنه بلاغة نثر بني أمية إلا من خلال تسليط الضوء على أبرز نصوصهم التي تميزت بالفصاحة والبلاغة.

**نتائج الدراسة:**

أفادنا التتبع للنثر فى العصر الأموي إلى أن البلاغة عندهم كان مصدرها الفطرة والموهبة والسليقة، إذ أنهم لم يكونو على علم بالأسس الفنية التي تقوم عليها، وذلك أن البلاغة كانت في مهدها فلا قواعد يبني بها الأديب أو الناثر نصه، فالألوان البيانية في نصوص الأموين تمثلت في السجع الذي يجري مجرى القافية في الشعر. مما أكسب نثرهم تناغما موسيقيا، وبعض ألوان البيان كالتشبيهات والكنايات والاستعارات، والبديع من الجناس والطباق والمقابلات المعنوية، وبعض من مظاهر علم المعاني مثل الإيجاز والإطناب، كما لا ننسى اقتباسهم من القرآن الكريم، وتضمين نصوصهم الأحاديث النبوية الشريفة؛ وهذا إن دل على شئ إنما يدل على ثقافتهم الإسلامية؛ التي منبعها كلام الله عز وجل، واستشهادهم بالأبيات الشعرية، وكل ذلك بهدف الاحتجاج والإقناع وتزين نثرهم ببلاغة القدماء.

## تمهيد

**العصر العباسي :**

قسم مؤرخو الأدب العصور الأدبية العربية الى خمسة عصور على النحو الأتي :

1.العصر الجاهلي أو ما قبل الإسلام.

2.العصر الإسلامي ويبدأ من نزول الوحي على الرسول، ﷺ، إلى سقوط الدولة الأموية سنة 132هـ/ 750م وهو العصر الذي تكونت فيه الدولة العربية وتمت الفتوح الإسلامية. ومن المؤرخين من يقسم هذا العصر قسمين، فهو إلى نهاية عصر الخلفاء الراشدين يسمى عصر صدر الإسلام، وما يليه إلى آخر الدولة الأموية يسمى العصر الأموي.

3.العصر الثالث هو عصر العباسيين أو العصر العباسي: ويستمر إلى سقوط بغداد في يد التتار سنة 656هـ / 1258م. ويقسم بعض المؤرخين هذا العصر قسمين: العصر العباسي الأول ويمتد نحو مائة عام، والعصر العباسي الثاني ويستقل ببقية العصر، ومن المؤرخين من يقسمه ثلاثة أقسام، يبقي فيها على القسم الأول بنفس الاسم، أما العصر العباسي الثاني فيقف به عند سنة 334هـ/ 945م وهي السنة التي استولى فيها بنو بويه على بغداد والتي أصبحت الخلافة العباسية منذ تاريخها اسمية فقط، ويمتد العصر العباسي الثالث إلى استيلاء التتار على بغداد. وقد يقسم بعض المؤرخين هذا العصر العباسي الثالث قسمين؛ فيقف بالقسم الأول عند دخول السلاجقة بغداد 447هـ / 1055م ويستقل القسم الثاني أو العصر العباسي الرابع ببقية العصر.

4. وباستيلاء التتار على بغداد يبدأ العصر الرابع ويستمر إلى نزول الحملة الفرنسية بمصر سنة 1213هـ / 1798م.

5. ثم العصر الحديث الذي يمتد إلى أيامنا الحاضرة[1]. وما يهمنا في هذه الدراسة هو العصر العباسي الأول.

**نشأة الدولة العباسية:**

الدولة العباسية أو الخلافة العباسية، اسم يطلق على ثالث خلافة إسلامية في التاريخ، وثاني السلالات الإسلامية الحاكمة، وهم بنو العباس عم النبي ﷺ استطاعوا أن يزيحوا بني أمية عن الحكم ويستفردوا بالخلافة، وقد قضوا على الأمويين وطاردوهم حتي قضوا على أغلبهم ولم ينج منهم إلا من هرب بجلده.

**مرت الدولة العباسية في نشأتها بثلاث مراحل :**

المرحلة الأولى : مرحلة التهيئة .

المرحلة الثانية : مرحلة قيام الدولة .

المرحلة الثالثة : مرحلة توطيد دعائم الدولة

**المرحلة الأولى : مرحلة التهيئة :**

لم تكن فكرة انتقال الخلافة إلى بني العباس واردة في الأذهان، أثنا الخلافة الراشدة، ولا فيما بعدها من خلافة بني أمية، ففي العصر الراشدي، كانت الخلافة تنتقل من خليفة إلى آخر بسلاسة ويسر، ومن دون مؤامرات أو ثورات،فقد تولى أبو بكر الصديق، ثم تولى عمر بن الخطاب وقبل موته جعل الأمر لنفر من الصحابة أوكل إليهم اختيار خليفة من بينهم، وتم اختيار الخليفة عثمان بن عفان[2] " وفي أواخر خلافته ظهرت الفتن "وكانت الذرائع المعلنة . حينئذ . شكوى فساد العمال وتحكمهم فى رقاب المسلمين، وعلى الرغم من أن عثمان رضي الله عنه، قد رد عليهم

[1]- أنظر ضيف ، أحمد شوقي عبد السلام تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، د ت ، دار المعارف ، ص 14

[2] - انظرالطبري، أبو جعفر محمد بن جرير تاريخ الأمم والملوك، ط1 ، 1407هـ ، ج2 ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ص348 وما بعدها

ردا حسنا إلا أن الفتن، في نهاية المطاف، أودت بحياته لما اقتحم الثائرون بيته وقتلوه"[1].

ولما تولى الخلافة علي بن أبي طالب(رضي الله عنه) سنة (35)هـ، ثار في وجهه بعض المسلمين، ممن لم يبايعوه؛ كمعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والسيدة عائشة أم المؤمنين وعلتهم الثأر لعثمان بن عفان. وتخللت هذه الفتن حربان ضروسان هما: معركة الجمل وصفين. وإن كانت معركة الجمل انتهت بانتصار علي وفرار اصحاب عائشة رضي الله عنهما إلا أن معركة صفين قد انتهت بقبول مايسمي حينذ بالتحكيم [2]. الذى خرج عليه الخوارج وقُتل علي رضي الله عنه علي سنة 40 هـ، فانتهى بذلك عهد الخلافة الراشدة ....وانتهت الخلافة لمعاوية ابن أبي سفيان ليبدأ عهد الخلافة الأموية، وعلى الرغم من أن الحسن بن علي بن أبي طالب بويع بالخلافة بعد مقتل أبيه، إلا أنه تنازل عنها لمعاوية حقناً لدما المسلمين. وظل الأموين فيها حتي أطاح بهم االعباسيون فى العام(132هـ)[3].

**فكرة انتقال الخلافة لبني العباس :**

لما أوصى معاوية ليزيد بالخلافة، أبى الحسين بن علي بن أبي طالب أن يبايعه، ودعا أهل العراق الحسين إليهم ليعهدوا إليه بالخلافة، فأرسل يزيد بن معاوية جيشًا كبيراً إلى الكوفة لقتال الحسين الذي خذله أصحابه كما خذلوا أباه من قبل ، وقتل في يوم عاشوراء مع ستة عشر نفرا من أهله. [4] وفي سنة (64هـ)، ثار أهل المدينة ومكة على يزيد لأتيانه المعاصي، فوجه إليهم جيشاً كبيراً وحاصر جيش الأمويين مكة، فجا الخبر بوفاة يزيد فانفض جيش الأمويين، وتسمى عبدالله بن الزبير، بالخلافة ؛ فبايعه الناس إلا الشام ومصر، وظل خليفة حتى أرسل إليه عبد

[1] ـالسيوطي، ،الإمام الحافظ جلال الدين : تاريخ الخافاء . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . المكتبة العصرية . بيروت ،1989م ، ص 179

[2] ـانظر الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج3 ، ص 53 ومابعدها

[3] ـ أنظر المرجع السابق ، ج3 ، ص 164

[4] ـأنظر تاريخ الخلفاء ، ص 234 ومابعدها

الملك بن مـروان جيشا كبيـراً بقيادة الحجـاج ، فقتـل ابـن الزبيـر فـي العـام (73هـ)[1]. وبعد مقتل الحسين صار الشيعة ينادون بإمامة محمد بن الحنفية، وهو الابن الثالث لعلي بـن أبي طالب، ولم تفلح جهود أبنا علي في الوصول إلى الخلافة طوال العهد الأموي، في حين أن أحـــــداً لم يكن ينادي بإمامة أحد من أبنا العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه .

ولم يصبح موضوع إمامة أحد من أبنا العباس مطروقا إلا عندما لمع اسم "علي بن عبــد الله ابن عباس؛ إذ كــان هاشم بــن محمد بــنالحنفية قد عهد بنصيبه من الخلافة إلى علي هذا، عندما كانا مقيمين في الحميمة."[2] وأوصـي علي قبل وفاته بالخلافة من بعده لإبنـه محمد وقد رأى محمد هذا، أن نقل الســـلطان من بيت إلى بيت لا بد أن يسبق بإعداد أفكار الأمة إلى هذا النقل، وأن كـــل محاولة فجائية لا بد أن تكون عاقبتها الفشل، فرأى أن يسير الناس في المسألة بالأناة المصحوبة بالحزم؛ فطلــب مــن مناصــريه أن يكونــوا دعاة يدعون الناس إلى آل الرضا من البيت، دون أن يسموا أحداً خوفا من بني أمية أن يقضوا على المدعو إليه إذا عِرف، ورأوا أن أحسن منطقة يبثون فيها الدعوة، هي الكوفــة وخراســان. أمــا الكوفة، فهي مهد التشيع لأهل البيت من قديم فيمكنهم أن يأووا إليها، ويجعلوها نقطة اتصــالهم. وأما خراسان، فسهولة الدعوة فيها مبنية على أمرين: الأول: أن فكرة التشــيع يفهمهــا الخراســاني مــن المسلمين بسهولة؛ لأن مؤداها نقل الخلافة إلى بيت النبي. والثاني : أن البلاد الفارسية كانت ذات تاريخ وملك قديمين، ولذلك فائده كبيرة في حياة النفوس وقد عاملهم بنو أمية معاملة السادة للعبيد"[3].

ولما توفي محمد بـن علـى بـن عبـد الله هذا، انتقل ولاء الشيعة إلى ابنه إبراهيم. وكان من أبرز دعـاة الشـيعة فـي الكوفـة فـي ذلـك الوقـت شـخص يـدعى بكيـر بـن ماهـان ولما توفي بكير شيخ

[1] ـ أنظر المرجع السابق ص 237 وما بعدها

[2] ـ انظر الخضري ، مخمد بك ، محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولـة العباسـية .ط1 بيـروت : مؤسسـة الكتـب الثقافيـة 1995 ، ص 13

[3] ـ أنظر الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة لعباسية . 16ص ،.17

الشيعة بالكوفة، أقام إبراهيم بن محمد بن حفص بن سليمانالمعروف بأبي سلمة الخلال مكانه. وهكذا بدأت تظهر إلى الوجود الدعوة إلى أبناء العباس، ومن أجل تقوية الدولة عمل إبراهيم على تأمين مركزين للدعوة: أحدهما فيالكوفة لوجود كثير من الشيعة هناك، والآخر في خراسان لبعدها عن مقر الخلافة من ناحية، ولكون الأمويين كانوا يعاملون غير العرب معاملة دونية فأحفظهم ذلك، ورأوا أن الخلافة يجب أن تكون في بيت النبي (صلي الله عليه وسلم)[1] وهكذا، كانت الدعوة العباسية، ومنذ بداية عهدها، تعتمد اعتماداً كبيراً على العنصر غير العربي، وهي بذلك تلعب على الوتر الحساس الذيعاناه غير العرب من الاضطهاد زمن الدولة الأموية، وهو ما جعل أهل الأمصار يوالون الدعوات الخارجة على الدولة الأموية، ومنها الدعوة العباسية؛ فكانت خراسان مهد الدعوة العباسية ومنها انطلقت ثورتهم. وقد جَّدت أمور مهمة في السنوات السبع التي سبقت الإطاحة بالدولة الأموية، ومنها استتاب الأمور في خراسان لأبي مسلم الخراساني، داعية العباسيين وقائد جيوشهم. واختلاف البيت الأموي وانشغال أقطابه بالصراعات بينهم . ويروي ابن كثير أنه لما توفي يزيد بن عبد الملك، كان ابنه الوليد ما زال صغيراً فأوصى بالخلافة من بعده لأخيه هشام على أن يكون الوليد ابن يزيد خليفة من بعده .

ولما توفي هشام في العام (125) هـ تقلد الخلافة الوليد بن يزيد، وكان فاسقا ماجنا، وقد استغل العباسيون ذلك في دعوتهم ضد الأمويين. ثم ما لبث أن انقلب الأمويون على الوليد بن يزيد، وقتلوه، وتولى الخلافة من بعده يزيد بن الوليد الملقب بالناقص؛ لأنه نقص الجند من إعطياتهم ولم يمتع، بالخلافة كثيراً؛ فكانت خلافته ستة أشهر ناقصة، وأوصى من بعده إلى أخيه إبراهيم بن الوليد الذي لم تستمر خلافته أكثر من سبعين ليلة؛ إذ ثار عليه مروان بن محمد ابن الحكم، الملقب بمروان الحمار في العام (127)هـ وهكذا، بلغ التفكك في الأسرة

[1] ـأنظر المرجع السابق ،ص 17 وما بعدها

الأموية حداً بحيث تعاقب علـى الخلافـة خـلال سنتين فقط أربعة خلفا (125-127). واستمرت خلافة مروان بن محمد حتى أطاح به العباسيون في (132)هـ[1].

**المرحلة الثانية : مرحلة قيام الدولة**

على الرغم من أن الدعوة العباسية كانت، في بادئ أمرها، سرية؛ إلا أن اتساع رقعتها، وكثرة أتباعها جعلت من بقائها سرية أمراً غير واقعي . وقد وصـلت الأخبار إلى مروان آخر خلفا بني أمية، وإن كانت في وقت متأخر جداً، أن هناك دعوة لخلافة بني العباس، وتحقق من الأمـــــر؛ فَدُلَّ علـى إبراهيم بن محمد ويذكر ابن كثير "أن مروان اطلع على كتاب من إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم الخرساني يأمر فيه بأن لا يبقى أحد بأرض خراسان ممن يتكلم بالعربية إلا أباده ، فلما وقف مروان على ذلك سأل عن إبراهيم: فقيل لـــــه: هو في البلقاء؛ فكتب إلى نائب دمشق أن يحضر فبعث نائب دمشق بريـــدا ومعـــه، وصفته ونعته، فذهب الرسول فوجد أخاه أبا العباس السفاح فاعتقد أنه هو فأخذه فقيل له إنه ليس بـــه، إنما أخوه، فدل على إبراهيم فأخـذه، وأوصى إلى أهله أن يكون الخليفة من بعده أخـوه أبـو العبـاس وأمرهم بالمسير إلى الكوفة فارتحلوا من يومهم إليها ...، فلما دخلوا كوفة أنزلهم أبو سلمة الخلال دار الوليد بن سعد مولى بني هاشم وكتم أمرهم نحوا من أربعين ليلة عن القواد والأمراء، ثم ارتحل بهم إلى موضع آخر، ثم لم يزل ينقلهم من مكان إلى مكـان، حتى فتحت البلاد، ثم بويـع للسـفاح أمـا إبراهيم بن محمد الإمام فانه سِيرَ به إلى أمير المؤمنين في ذلك الزمان مـروان بن محمد وهو بِحـرّان، فحبسه وما زال في السجن إلى أن مات في صفر منها عن ثمان وأربعين سنه"[2]. أما ما كان من أمر الدعوة العباسية في خراسان، فإن الأمور استتبت لأبي مسلم الخراساني بعد أن أوقع العداوة والحرب بين القبائل المضرية واليمنية حتى وهن الطرفان ثم ثار أبو مسلم على والي خراسان للأمويين الذي استنجد

[1] ـ انظرالسيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 25 ومابعدها

[2] ـ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية تح :عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط 1 ، ج10. دار المعارف، ص247 وما بعدها

بدوره بالخليفة مروان وعامله على العــراق ابــن هبيرة، ولكنهما كانا في شغل عنه في حروب الخوارج، فسقطتالحواضر الخراسانية الواحدة تلو الأخرى في يد أبي مسلم الخراساني، حتى تم له الأمر فأرسل عامله قحطبة لمنازلة عامل الأمويين ابن هبيرة، فهرب هو وقائده ابن نباتة مخلفين وراءهم غنائم كثيرة احتملها الحسن وأصحابه على السفن إلى الكوفة، لتظهر هناك الحكومة السرية لبنــي العبـاس، بقيـادة وزيـرهم أبـي سـلمة الخـلال[1] . و"نودي في الكوفة بأبي العباس السفاح وهو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ابـن عبـدالمطلب خليفة، وذلك ليلــة الجمعة لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر"[2] ولما بلغ الخبر مروانتحول من حران، فنزل على نهر قريب من الموصل، يقال له الزاب من أرض الجزيرة، ثم لما بلغــه أن السفاح قد بويــع، بالكوفة، والتف عليه الجنود واجتمع له أمره، شق عليه جدا وجمع جنوده فتقدم إليه أبوعون بـــن أبي يزيد، في جيش كثيف، وهو أحد أمرإ السفاح فنازله على الزاب وجاته الإمداد من جهة الســفاح، ثم ندب السفاح الناس ممن يلي القتال من أهل بيته فانتدب له عبدالله بنعلي فقال: سرعلى بركـــة الله ، فسار في جنود كثيرة ... و تقدم عبدالله بن علي بجنوده حتى واجه جيش مروان، ونهض مروان في جنوده، وتصاف الفريقان في أول النهار ويقال إنه كان مع مروان يومئذ مئة ألف وخمسون ألفا، ويقال مئة وعشرون ألفا وكان عبد الله بن علي في عشرين ألفا فقال مروان لعبد العزيز بن عمر بـن عبد العزيز: إن زالت الشمس يومئذ ولم يقاتلونا كنا نحن الذين ندفعها إلى عيسـى بـن مـــريم، وإن قاتلونا قبل الزوال فإنا لله وإنا إليه راجعون، ثم أرسل مروان إلى عبد الله بن علي يسأله الموادعة، فقال عبدالله: كذب ابن زريق لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله، وبدأ القتال ثم ما لبث، انهــزم أهــل الشــام واتبعتهم أهل خراسان في أدبارهم يقتلون ويأسرون وكان ممن غرق من أهل الشام أكثر ممن قتل ، كان في جملة من غرق إبراهيم بن الوليد بن

[1] ـا نظر الصَّلاَّبي ، عَلي محمد محمد ، الدولَة الأمويَّة عَوامِلُ الازدهارِ وَتَداعيات الانهيار ،ج2 ، الطبعة: الثانية، 1429 هـ - 2008 م ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ص 557

[2] - أنظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج10 ، 340

عبد الملك المخلوع."[1] ويذكر السيوطي: أنه لما انكسر مروان قرب الموصل " رجع إلى الشام، فتبعه عبـــد الله، ففـــر مروان إلى مصر، فتبعه صالح أخو عبد الله، فالتقيا بقرية بوصير، فقتل مروان بها، في ذي الحجة من السنة نفسها."[2]

**المرحلة الثالثة : مرحلة توطيد دعائم الدولة :**

اتسمت الدولة العباسية، منذ بداية نشأتها، بتغلغل الصراعات فيها؛ نتيجة لتعدد مراكز القـــوى المتنافسة فيما بينها، وقد ظهرت هذه المنافسة في وقت مبكر، حتى قبل قيام الدولة فـــي العـــام (132)هـ . ومن أهم الأقطاب التي تخلص منها العباسيون منذ بداية عهدهم :

**أبو سلمة الخلال:**

يعد أبو سلمة الخلال، أحد أهم دعائم الدعوة العباسية، وكان يميل إلى جعل الخلافة في آل علي بن أبي طالب، ويروي الخضري أن أبا سلمة قد راسل بعض أعيان آل علي، وهم جعفـــــــر الصـــــادق، وعبد الله المحض، وعمر الأشرف، وعرض عليهم البيعة للخلافة، ولكنهم رفضوا طلبه لعلمهم بـأن الأمـر سيصـير الـى العباسـيين.[3] وقد أحس أبو مسلم بذلك، فحقد عليه منذ ذلك الحين ويذكر ابن كثيـر أنه لما بلغ أهل الكوفة مقتل إبراهيم بن محمد، " أراد أبو سلمة الخلال أن يحول الخلافة إلى آل علـــي ابن أبي طالـــب فغلبه بقية النقبا والأمرا وأحضروا أبا العباس السفاح وسلموا عليه بالخلافـة وذلـك بالكوفة وكان عمره إذ ذاك ستا وعشرين سنة وكان أول من سلم عليه بالخلافة أبو سلمة الخلال "[4]

ولما تولى الخلافة أبو العباس السفاح، أراد أن يفتك بأبي سلمة الخلال، وأراد إطلاع أبي مسلم الخراساني، فأرسل إليه أخاه أبا جعفر المنصـــور، فـــأخبره بخبر أبي سلمة فقال أبومســـلم أنا

[1] ـ انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج10 ، ص42 ومابعدها
[2] ـالسيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص 296
[3] ـا أنظرلخضري ، محاضرات في تاريخ الأم الإسلامية ، الدولة العباسية ، ص 28
[4] ـ ابن كثير ، البداية والنهاية ،ج10 ، ص40

أكفيكموه، وبعث إليه برجل وطلب إليه قتله أينما وجده، ففعل [1] ، ولم يتم الاكتفاء بذلك بل أرسل من يقتل عمال أبي سلمة كافة ، فتم له ما أراد.[2] وبذلك تم التخلص من أهم المنافسين للخليفة العباسي في عهد أبي العباس السفاح .

**عبدالله بن علي عم أبي العباس السفاح:**

"وقد كان عبدالله بن علي قدم على ابن أخيه السفاح الأنبار فأمره على الصائفة فركب في جيوش عظيمة إلى بلاد الروم فلما كان ببعض الطريق بلغه موت السفاح فكر راجعا إلى حران ودعا إلى نفسه وزعم أن السفاح كان عهد إليه حين بعثه إلى الشام أن يكون ولي العهد من بعده ."[3] ولما علم عبد الله بن علي بأن المنصور أخذ البيعة بالخلافة لنفسه، أبى ذلك وتسمى بالخلافة في حران فوجه إليه المنصور أبا مسلم الخراساني في جيش كثيف. وقد التقى الطرفان في حران واقتتلوا خمسة أشهر، إلا أن أبا مسلم تمكن من الفتك به وإلحاق الهزيمة به وذلك سنة (137)هـ . [4] ففر إلى البصرة، وتخفى عند أخيه سليمان بن علي. ولما علم المنصور به، أرسل إلى أخيه سليمان بأن يحضره إليه فجاء به، فحبسه حتى مات سنة (147)هـ[5].

**أبو مسلم الخراساني:**

بعد هزيمة عبد الله بن علي، أصبح أبو مسلم الخراساني صاحب الشوكة والسلطان في الدولة العباسية؛ فعلى يديه تم إخضاع خراسان تحت لواء العباسيين، و هزم عبدالله بن علي كما ورد سابقا، وراودت المنصور الشكوك حول نفوذ أبي مسلم . وكان قد بلغ المنصور أن "أبا مسلم لا يحترم كتبه ويستهزئ بها إذا وردت إليه، فصمم على الفتك بأبي مسلم."[6] ويذكر الطبري كذلك أن

---

[1] ـ أنظر مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب ،ج3 ، تح: أبو القاسم إمامي ، ط2 ـ2000م ، سروش، طهران ،ص382

[2] ـأنظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، ص 55

[3] ـ المصدر نفسه ، ج 10،ص61

[4] ـ أنظر الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، دت ،ج8 ، المكتبة التوفيقية ، ص238

[5] ـ أنظر ابن كثير ،ج10 ، ص 98

[6] ـالخضري : محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية،الدولة العباسية ، ص57

أبـــــا مســـــلم "يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرؤه ثم يلوي شدقه ويرمي بالكتاب إلى أبي نصرفيقرؤه ويضـحكان استهزاء."[1] ومهما تكن الأسباب؛ فالمنصـور قـد صمم على التخلص من أبي مسلم؛ ليسهل عليـه سياسة الناس، من دون منافسة . ويقال أنـه لمـا جاء رسول من المنصور إلى أبي مسلم لإحصـــاء الغنائم التي كسبها بعـــد هزيمتـــه لجيش عبد الله بن علي؛ غضب أبو مسلم، وهم بقتل الرسول، وقال: أأكون أمينا على الدمـــاء، ولا أكون أمينا على الأموال. وعلم المنصور بذلك فـاتخذ قرارا بالتعجيل في حسم قضية أبـي مسلم.[2] فخشي المنصور أن يتوجه أبو مسلم إلى خراسان ويصبح القضاء عليه أمراً عسيراً؛ فكتـب إليه أنه يوليه مصر والشام ليكون قريبا من أمير المؤمنين، فغضب أبو مسلم، وكتب إلى المنصـــور"أخوف ما يكون الـــوزراء إذا سكن الدهماء."[3] عند ذاك لجأ المنصور إلى الحيلة متخذاً من الترغيب والترهيب وسيلة لإحضار أبـــي مســـلم، إليه فجا إليه أبو مسلم، وكان المنصور قد أعد أربعة من الحرس خلف الرواق وأمـرهم بـالخروج. وقتل أبا مسلم فور سماعهم تصفيق الخليفة.[4] وبهذه الطريقة تم التخلص من الرجل الذي وهب حياته لخدمة الدعوة العباسية، والإ طاحة بأعدائها.

**محمد بن عبدالله من آل الحسن بن علي بن أبي طالب:**

كـان محمد بن عبدالله، وأخوه إبراهيم " قد تخلفا عن الحضور إلى الرشيد عام حج فـي عهد ولاية أخيه السفاح، ولم يكونا من بين الهاشميين الذين حضـروا إليـه، فأضـمر المنصـور ذلـك فـي نفسه."[5] وقد اختفى محمد وإ براهيم عن المنصور الذي حاول جاهدا التعرف على أخبارهما ولكن دون جـدوي، فحـبس آل الحسـن.[6] ويذكرالطبري أنه لمـا " ولى، أبو جعفر رياح بن عثمان بن

---

[1] ـ الطبري، تاريخ الأمم والملوك ج4 ، ص381

[2] ـ أنظرالمصدر السابق ،ج4 ، ص381

[3] ـ الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر ،ج8، ط1 : 1412 هـ - 1992 م ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ص6

[4] ـ أنظر الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج4 ، ص 384

[5] ـ الخضري :ا محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية الدولة لعباسية . ص61

[6] ـأنظر المرجع السابق ، ص62

حيان المري المدينـــة عنهما، أمره بالجد في طلب محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن وقلــة الغفلــة عنهمــا."[1] وقد لجأ المنصور إلى الحيلة لإخراج محمد، فكان يكتب له الكتب على ألسنة قواده يدعونه فيها إلى الخروج، وأن الناس والقواد معه؛ فوقع محمد في الفخ؛ فظهر في المدينة ونادى بنفسه خليفة، وكان قد اتفق مع أخيه إبراهيم بالظهور في البصرة على نحو متزامن، لكن إبراهيم تـأخر لعلــة أصــابته. ومهما يكن من أمر، فإن المنصور وجه جيشا لمحمد ثم لإبراهيم وقضى على ثورتهما، وكان ذلك في العــام (145)هـ [2]. وبمقتلهما استقر ملك العباسيين، وبذلك عدَّ المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية.

**خلفاء العصر العباسي الأول:**

1.أبو العباس السفاح 132 – 136 هـ/749 – 753 م .

2. أبو جعفر المنصور 137 – 158 هـ/753 – 774 م.

3.محمد المهدي 158 – 169 هـ/774 – 785 م .

4. موسى الهادي 169 – 170 هـ/785 – 786 م.

5.هارون الرشيد 170 – 193 هـ/786 – 808 م.

6. محمد الأمين 193 – 198 هـ/808 – 813 م.

7. عبد الله المأمون 198 – 218 هـ/813 – 833 م.

8. أبو إسحاق المعتصم 218 – 227 هـ/833 – 841 م.

9. هارون الواثق 227 – 232 هـ/841 – 846 م.

10. جعفر المتوكل 232 – 247 هـ/846 – 861 م

[1] ـ الطبري ، ج4 ، ص 420
[2] ـأنظر ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج10 ، ص89

# الفصل الأول:

## الخطابة

المبحث الأول: الخطابة لغة اصطلاحاً

المبحث الثانى: نشأة الخطابة

المبحث الثالث: أركان الخطابة وعناصرها

المبحث الرابع: الخطابة في العصر العباسي الأول

**المبحث الأول**

**تعريف الخطابة لغة واصطلاحاً**

**الخطابة لغة:**

"خَطَبَ: الخَطْبُ: الشأنٌ أو الأمرُ، صَغُر أو عَظمَ وتقول هذا خَطْبٌ جَلِيْلٌ، وخَطْبٌ يسير. والخَطْبُ: الأمْرُ الذي تقع فيه المُخَاطَبةُ، والشأنُ والْحال، ومنه قولهم: جَلَّ الخَطْبُ أي عَظُمَ الأمرُ والشَّأنُ. والخِطَابُ والمُخَاطَبَةُ: مُراجَعَةُ الْكَلاْمِ، وقد خَاْطَبَهُ بِالْكَلاْمِ مُخَاْطَبَةً وخِطَاْباً، وهما يَتَخَاْطَبَانِ. والخُطْبَةُ مصدر الخَطِيْبِ وخَطَبَ الْخَاْطِبُ على المنبر، واخْتَطَبَ يَخْطُبُ خَطَابةً، واسم الكلام الخُطْبَة. ورَجُلٌ خَطِيْبٌ: حَسُن الخُطْبَةِ، وجمعُ الخَطِيْبِ خُطَباءُ. وخَطُبَ بالضم، خَطابةً بالفتح: صار خطيباً"[1].

وجاء في القاموس المحيط للفيروزبادي: " خطب الخاطبُ على المنبرِ خطابةً بالفتح وخُطبة بالضم، وذلك الكلام خُطبة أيضاً. أو هي الكلام المنثور المسجّع ونحوه. ورجلٌ خطيبٌ حَسَنُ الخطبة، والخطبةُ بالضم لونٌ كدرٌ مشربٌ حُمرةٍ في صفرةٍ أو قبرةٌ ترهقها قترةٌ "[2].

وقال صاحب محيط المحيط: " الخطبة كلام الخطيب أي اسمٌ لما يُخطب به من الكلام وقيل الخُطبة من الخَطْب لأنهم كانوا لا يخطبون إلا في أمرٍ عظيم. وقيل هي الكلام المنثور المسجع ونحوه ومنه خطبةُ الكتاب وهي كلام يشتمل البسملة والحمدلة والثناء على الله والصلاة على النبيّ ﷺ وتكون في أوَّل الكلام. وفي الكليات الخطبة هي كلمات تتضمن طلبُ شيءٍ، ولكن في طلب النساءِ تكون بالكسر وفي غيره بالضم. والأشهر أن الخطبة ما يتكلم به الخطيبُ على جماعة في مهمة دينية أو دنيوية "[3].

---

[1] - ابن منظور ، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ، لسان العرب ، تح، عامر أحمد حيدر دار الكتب العلمية - بيروت لبنان- 1430هـ- 2009م ، مادة خطب.

[2] - الفيروزبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب القاموس المحيط، تح مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – ط 8، 1426 هـ - 2005 م، لبنان ، فصل الخاء باب الباء.

[3] - البستاني، بطرس، محيط المحيط، د ت، دار الكتب العلمية، باب الخاء

وقد جاء في معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس ابن زكريا: " خطب: (1) الخاء (2) والطاء (3) والباء: أصلان أحدهما الكلام بين اثنين ، ويقال: خاطبهُ يخاطبهُ خطاباً والخطبة من ذلك. وفي النكاح الطلب أن يزوج ، قال تعالى: " وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء"[1] .

والخُطْبةُ: الكلام المخطوب به. ويقال اخْتَطَبَ القوم فلاناً، إذا دعوه إلى تزوج صاحبتهم. والخَطْبُ: الأمرُ يقع، وإنما سُمِّى بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة"[2].

أما ما جاء في تاج العروس، من جواهر القاموس، للإمام محب الدين بن فيض الحنفي بشأن الخطبة قال إنها مصدر " الخطيب " خَطب الخاطبُ على المنبر، يخطبُ خطابةً بالفتح وخطبةٌ بالضم، واسم ذلك الكلام الذي يتكلم به الخطيب: خُطبة بالضم ، فيوضع موضع المصدر قال الجوهري: خَطَبْتُ على المنبر، خُطْبَةٌ بالضم وخَطَبْتُ المرأةُ خِطْبةً "[3].

وجاء في مختصر كتاب العين" خَطَبَ " الخَطْبُ: سبب الأمر. والخطبةُ: مصدر الخطيب. والخِطبةُ مصدر الخَاطِب. وخَطَبَها واخْتطبها خِطِّيباً. وخِطِّيبي: امرأة والخاطب: مراجعة الكلام. والأَخْطَبُ: الشِّقراق. ولون إلى الكُدْرَةِ مُشْرَبٌ حُمرةٌ في صُفرة كلون الحَنْظَلَةِ الخَطْباء قبل أن تيبس. وكلون بعض حُمرِ الوحوش.وخطب لونه والخُطبان من الحنظل: الذي فيه خطوط، ولا يدخله بياض، والواحدة خُطبانة. " [4].

و" الخطابة: مصدر خَطَبَ يخطُبُ، أي صار خطيباً، وهي على هذه صفة راسخة في نفس المتكلم، يقتدر بها على التصرُف في فنون القول لمحاولة التأثير في نفوس السامعين وحملهم على ما يراد منهم، بترغيبهم و إقناعهم، فالخطابة مرماها التأثير في نفس السامع،

---

[1] - سورة البقرة، الآية23.

[2] - ابن فارس ،أبو الحسين أحمد ، معجم مقاييس اللغة ، تع: عبد السلام هارون ، بدون طبع ، دار الجيل بيروت ، مادة خطب.

[3] - الحسيني ، محب الدين أبي الفيض السيد محمد ، تاج العروس من جواهر القاموس،د ت، مجموعة من المحققين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، مادة خطب.

[4] -الاسكافي ، أبوعبد الله محمد بن عبد الله ، مختصر كتاب العين ، تح هادى حسن حمودى ،ج1، ط1 1419هـ - 1998م – وزارة التراث القومي والثقافي ، عمان،ص539.

ومخاطبة وجدانه وإثارة إحساسه للأمر الذي يراد منه، ليذعن للحكم إذعانا ويُسلم به تسليماً. "[1]

وقال الزمخشري :" خَاطبهُ أحْسنُ الخِطاب ، وهو المواجهة بالكلام"[2]

و"خَطَبَ في الجمهور: ألقي حديثاً، كلاماً، أي خُطْبةً، وخَطَبَ الإمام المصلين يوم الجمعة: وعظهم، وخَطَبَ يدها:طلبها للزواج.خطبها إلى أهلها طلبها منهم للزواج:خَطبَ إليه المرأة وخطب ودَّهُ: تودَّد إليه، طلبه منه، جاءت مذعورةٌ فسألها عن خَطْبها: عن شأنها، عن أمرها، أي ما حل بها. ما خَطْبُك ما شأنك، ما حالُك.أمرُ عظيم وأدب نفيس وخَطْبٌ جليلُ المَّ به خطبٌ : مكروهٌ. خَطَبَ المرأة يخطُبها خَطْباً وخِطبةً وخِطِيبي دعاها إلى التزُّوج.خَطَبَ الخاطب على المنبر خَطابةً وخُطبةَ قرأ الخُطْبَةَ على من حضر وتكلم بكلام الله للتقوى ووعظ، وخاطبهُ في فلان سألهُ في شأنه ومنه في سورة المؤمنين: ﴿... وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ... ﴾"[3] تخاطبا تكالما وتراجعا الكلام.وقال الحريري في مقامته الشعرية

" يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ إِنَّهَا شَرَكُ الرَّدَى. وَقَرَارَةُ الأَكْدارِ"[4]

أراد بخاطب الدنيا طالبها والمتمكن منها:وقولهم أرسلته لي خاطباً فتزوج . مثلٌ يضرب لمن أرسل في حاجة فطلبها لنفسه ."[5]

**الخطابة اصطلاحاً:**

والتعريفات اللغوية للخطابة لا تبعد كثيراً عن تعريفاتها الاصطلاحية، فقد عرَّفها أرسطو بأنها: "القدرة على النظر في كل ما يوصل إلى الإقناع في أي مسألة"[6]، كما عرَّف المناطقة الخطابة بأنها " القياس المؤلف من المظنونات أو المقبولات ، بترغيب الناس فيما ينفعهم

---

[1] - أبو زهرة ، محمد الإمام ، الخطابة أصولها ، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، دت، دار الفكر العربي ،ص15.

[2] - الزمخشري ، جار الله أبو القاسم بن عمر،أساس البلاغة ،ج1، د ت ، مكتبة لبنان بيروت ، ص112.

[3] سورة المؤمنون، الآية27.

[4] -الشريشى ، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن ، شرح مقامات الحريري ، تحقيق: محمد أبو الفضل ، ج3 ، بدون تاريخ ، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت لبنان، ص 95.

[5] - البستاني، بطرس، محيط المحيط، باب الخاء.

[6] - أرسطو طاليس ، الخطابة ، ترجمه : المكتبة العربية القديمة ، تح:عبدالرحمن بدوى ، د ت ، مكتبة النهضة العصرية - القاهرة،ص10.

في أمور معاشهم أو معادهم"[1]، وهذا التعريف مبناه أن الخطابة جزء من علم المنطق، كما كان حالها عند اليونان وتبعهم في ذلك الفلاسفة المسلمون قال ابن سينا: إن الحكماء قد أدخلوا الخطابة والشعر في أقسام المنطق،لأن المقصود من المنطق هو أن يوصل إلى التصديق، فإن أوقع التصديق يقيناً فهو البرهان، وإن أوقعه ظناً، أو محمولاً على الصدق فهو الخطابة".[2]

ونقل محمد أبو زهرة من الأقدمين تعريفهم لعلم الخطابة بأنه:" مجموع قوانين تعْرِّف الدارس طرق التأثير بالكلام، وحسن الإقناع بالخطاب. فهو يعُني بدراسة طرق التأثير، ووسائل الإقناع، وما يجب أن يكون عليه الخطيب من صفات، وما يجب أن يتجه إليه من المعاني في الموضوعات المختلفة وما ينبغي أن تكون عليه ألفاظ الخطبة وأساليبها وترتيبها"[3]. وجاء في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب أن الخطابة هي:"مجموعة القواعد التى يلتزم بها الخطيب أثناء إلقائه الخطبة أمام الجمهور، وذلك كرفع الصوت وخفضه أحياناً، ومراعاة الصور البلاغية، وتقسيم الخطبة إلى فقرات ، والضغط على المواطن الهامة فيها"[4] .

وفي اصطلاح الحكماء: أن الخطابة هي"مجموع قوانين يقتدر بها على الإقناع في أي موضوع يُراد – والإقناع حمل السامع على التسليم بصحة المقول وصواب الفعل أو الترك – وهي نوعان برهاني وخطابي وغاية النوع البرهاني إذعان العقل لنتيجة مبنية على مقدمات تثبت له صحتها كقولنا:الأربعة زوج لأنه منقسم بمتساويين: العالم حادث لأنه متغير. وغاية الخطابي:إذعان العقل بصحة المقول وصواب الفعل أو الترك بأقيسة مؤلفة من أقوال مظنونة، أخذ فيها بالمحتمل الواضح الراجح، لأن شأن هذه الصناعة إعداد النفوس لقوة الإقناع، وإن لم تبلغ غايتها"[5].

---

[1]- الواعى ، توفيق: الخطابة وإعداد الخطيب – ط2 1417هـ- 1996م- دار اليقين مصر، 12

[2] - المرجع نفسه،ص13.

[3] -أبو زهرة، محمد الإمام، الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها، ص7.

[4] - وهبة، مجدي، وكامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، ط2 1984م، مكتبة لبنان، بيروت، ص159.

[5] - محفوظ الشيخ، فن الخطابة وإعداد الخطيب، د ت، دار الاعتصام، القاهرة، ص13.

ويُعرفها شارح نهج البلاغة بأنها:"صناعة يُتكلف فيها الإقناع الممكن للجمهور فيما يُراد أن يصدقوا به."[1]

ويختلف القدماء والمعاصرون فى النظرة للخطابة، فهى عند القدماء تُعرَّف بأنها علم، أما المعاصرون فيرون أنها فن، ومن هذه التعريفات ما قاله جورج غريب فقد عرَّفها بأنها:"فن أدبي هدفه التوجيه والتحويل والاستمالة والإقناع"[2] وعرَّفها غيره:"أنها فن من فنون الأدب النثري يهدف إلى توضيح أمر أو قضية هما مثار جدل ، لإفهام هذا الجمهور وتوجيهه واستمالته بإثارة عواطفه لإتخاذ موقف ما، هو الموقف الذي يرمى إليه الخطيب "[3].

أما توفيق الواعي فيجمع بين كونها علماً وفن فقد قال:"الخطابة هي أصول وقواعد ترشد الإنسان إلى فن مخاطبة الجماهير"[4].

ونلحظ أن جُلَّ التعريفات تركز على الممارسة الشفاهية للخطابة ومواجهة الجمهور وجهاً لوجه. ولا بد للخطيب أن يتمتع بأكثر من سمة شخصية يستطيع من خلالها الوصول إلى مبتغاه. ولعل أوضح وأدق تعريف عُرِّفت به الخطابة هو أنها:" فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة "[5]، مما يعني أنها تتعامل مع العقل والعاطفة مع تركيزها على العاطفة بصورة واضحة ونستخلص من تعريف شلبي الآتي:

1. أن يكون الحديث موجها إلى جمهور من الناس، فإذا كان الإنسان يتكلم مع شخص أو شخصين فإنه ليس بحاجة إلي أسلوب خطابي، بل يكفيه شرح المعني المراد في صوت هادئ وطريقة ألفها الناس في أحاديثهم.

---

[1] - البحراني، كمال الدين هيثم ، مقدمة شرح نهج البلاغة والخطابة وفضائل الإمام على ، تح عبد القادر حسين ،ط1 1997م ، دار الشرق بيروت لبنان ، ص163.

[2] - غريب ، جورج ، صدر الإسلام ، ط4، 1983م ، دار الثقافة بيروت – ص57.

[3] - القوال ، أنطوان ، فن الخطابة ، ط1- 1996م ، دار الثقافة بيروت لبنان ،ص11.

[4] - الواعى ، توفيق ، الخطابة وإعداد الخطيب، ص14.

[5] - شلبي، عبد الجليل عبده ، الخطابة وإعداد الخطيب ، ط1408،3هـ - 1987م دار الشروق القاهرة ،ص11.

2. أن يكون الحديث بطريقة إلقائية، وهذا يعني جهارة الصوت وتكيفه باختلاف نبراته وتجسيم المعاني التى تتضمنها الخطبة ، وإبداء التأثر بها. ومكملات هذه الطريقة أن تصحبها إشارات باليد أو بغير اليد، كما يبدي الخطيب انفعالاته بما يقول، فكل ذلك يثير السامعين ويوجه عواطفهم نحوه ويجعلهم أكثر استجابة لرأيه.

3. أن تكون الخطبة مقنعة، بحيث تتضمن أدلة وبراهين تثبت صحة فكرة الخطبة. فإذا كانت الخطبة خالية من مثل هذه الأدلة فإنها ستكون تعبيراً عن رأي الخطيب فقط، وبالتالي تكون فاشلة لأنها عجزت عن أداء الغرض المطلوب.

4. أن يتوفر في الخطبة عنصر الاستمالة أي تقدر الخطبة على أن توجه عواطف الناس وتحملهم على العمل، حتى يستجيبوا للرأي الذي تدعوا إليه الخطبة وذلك لأن المخاطب قد يدين لرأي أو يؤمن بفكرة لكن إيمانه هذا لا يدفعه إلي أن يسعى إلى تحقيق تلك الفكرة."فعنصر الاستمالة من أهم العناصر لأنه هو الذي يُلبي الغرض المقصود"[1].

إذاً الخطابة هي فن إيصال خبر أو فكرة ما لمجموعة من السامعين على نحو بليغ مقنع ومؤثر، وهكذا نجد أن الإقناع والتأثير هما غاية الخطابة ومحورها الرئيس.

[1] - المصطاوى ، عبد الرحمن ، مرشد الخطيب ودليل الباحث ،ط1 2002م ، دار المعرفة بيروت لبنان ، ص7 وما بعدها.

**المبحث الثاني**

**نشأة الخطابة**

الخطابة جنس أدبى موغل فى القدم، وهى تقتضي الاجتماع البشري للتوجيه والإرشاد وقيادة الناس في هذه الحياة، ولا يستغني عنها أي مجتمع إنساني، وذلك لحاجة النفس الإنسانية إلى التعبير عن مشاعرها و أفكارها، وكذلك حاجة أفراد المجتمع الإنساني إلى تبادل الأفكاروتوحيد الرؤى والمواقف؛ إذ الخطاب أحد أهم وسائل تحقيق الأهداف " وأن الاستعداد لها مخلوق مع الإنسان الذي لا غنى له عن الإبانة لغيره عما في ضميره، وعن إقناعه بصدق مقاله وسداد رأيه "[1] وقد ذكر الجاحظ:" أن الخطابة شيء في جميع الأمم، وبكل الأجيال إليه أعظم الحاجة"[2] إذاً الخطابة هي واسطة للتفاهم بين الناس، والإنسان مدني بطبعه، لا يمكن أن يعيش منعزلاً عن الآخرين، ولا يستغني عن إقامة العلاقات معهم و محادثتهم في شؤون الحياة . وقد صاحبت الهداية الربانية البشر من أول يوم، وذلك حين أرسل الله الرسل إلى أولاد آدم، وكان الرسل الكرام خطباء في أقوامهم يدعونهم إلى الله عزَّ وجلَّ، و يهدونهم إلى توحيده ، لذلك كان لهم " الحظ الأوفى المقام الأعلى في سبيل الدعوة إلى طاعة الله وتوحيده، وإرشاد الناس إلى الطريق السوي"[3] عن طريق الخطابة .قال تعالى : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾"[4] وأن الله تعالى " ما أرسل رسولاً إلا بلغة قومه، ليتحقق المقصود من الرسالة وهو إبانة الطريق الموصلة إلى الله تعالى وتحذيرهم من سبيل الشيطان "[5] قال عز من قائل : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

[1] ـ محفوظ ، الشيخ على ، فن الخطابة وإعدد الخطيب، د ت ، دار الاعتصام ، ص 20 .
[2] ـ الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبين ، ط7 ، تح ، عبد السلام هرون ، 1418هـ ـ 1998م، مكتبة الخانجي،القاهرة، ص12 ،
[3] ـ انظر ـ الواعي ، توفبق ، فن الخطابة وإعداد الخطيب ، ص 16 .
[4] ـ سورة النساء 65.
[5] ـ انظر ـ الواعي ، توفبق ، فن الخطابة وإعداد الخطيب ، ص 16 .

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾"[1] وكان رسل الله يعلمون الناس الحكمة ويقارعونهم بالحجة ويبلغونهم ما جاؤا به من عندالله ، بالتي هي أحسن ، بأنصع بيان وأقوى منطق وأقوى كلمة قال تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[2] وكان سيدنا نوح عليه السلام " هو أول رسول إلى أهل الأرض، وقد حكى القرآن عنه كيف وقف خطيباً وسط قومه الذين يعبدون الأوثان "[3] قال تعالى على لسان سيدنا نوح عيه السلام : ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿8﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿9﴾"[4] وكان هذا ديدن الرسل في سبيل الدعوة إلى الله، وكان هناك في المقابل معاندون لهؤلاء الرسل، خطباء أصحاب كلمة وبيان استطاعوا بها استدراج أقوامهم و الاستيلاء على عقولهم وأفكارهم . ولننظر في ذلك إلى خطبة فرعون إلى قومه في سورة الزخرف قائلاً ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَاقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿51﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿52﴾"[5] فقد كان فرعون خطيباً بارعاً في السيطرة على أفكار الناس وسرقة عقولهم ،فاسرهم بالكلمة اللعوب والحجة الملتوية والدليل الكاذب . فبين الله حالهم وحاله قائلا: "فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ "[6] وأيضاً نجد ممن استخدم استخدموا الخطابة في الدعوة إلى الله نبي الله هود الذي أرسله الله إلى قومه عاد، قال تعالى: ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾"[7] ولكن قوم هود كانوا مشركين فلم يؤمنوا بالرسالة التي جاءهم بها فقالوا له: " يَاهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿53﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا

---

[1] - سورة إبراهيم 4.
[2] - سورة البقرة 151.
[3] - انظر ، السعدي ، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله ، تيسير الكريم في تفسير كلام المنان ، ط 1 ، تح : عبدالرحمن بن معلا اللويحق ، 1420هـ - 2000م ، ج1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ص128 .
[4] - سورة نوح 8 -9
[5] - سورة الزخرف 51 - 52.
[6] - سورة الزخرف 54.
[7] - سورة هود 50" .

اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾"[1] وبعد أن يئس سيدنا هود من قومه قال لهم : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾"[2]. وهكذا نرى أن وسيلة الرسل كانت مخاطبة أقوامهم بالدعوة والنصح والإرشاد، كما نرى أن أقوامهم كانوا يردون على الخطابة بخطابة. وقد أرسل الله من بعد سيدنا نوح عليه السلام العديد من الرسل، وكان آخر هؤلاء الرسل هو سيدنا محمد ﷺ ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾"[3] . وقد كانت الخطابة أداة التبليغ عند سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث نزل عليه قوله تعالى :"﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾"[4] ."فقد أخرج أحمد من حديث بن عباس رضي الله عنهما قال : لما أنزل الله "وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" أتى النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فصعد عليه ثم نادى : يا صاحباه، فاجتمع الناس إليه بين رجل يجيئُ إليه، وبين رجل يبعث رسوله فقال رسول الله صلى عليه وسلم : يا بني عبد المطلب، يا بني فِهر يا بني كعب، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أصدقتموني ؟ قالوا نعم. قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ." [5]. وهكذا كانت الخطابة هي الأساس المتين الذي اعتمد الأنبياء والرسل في دعوة الناس إلى التوحيد الخالص لله عزوجل، وكان كل رسول مختص بتقويم الإنحراف الحادث في قومه بالحكمة والحجة والبرهان، وكان أخطب الأنبياء هو سيدنا شعيب عليه السلام وذلك لفصاحة عباراته وجزالة ألفاظه " وكان النبي ﷺ إذا ذكر شعيبا قال : ذلك خطيب الأنبياء، لحسن مراجعته قومه فيما يردهم به " [6] وأخيراً لا بد لنا أن نشير إلى أن الخطابة

---

[1] - سورة هود 53 - 54 .
[2] - سورة هود 57 .
[3] - سورة المؤمنين 44.
[4] - سورة السعراء 214 .
[5] - ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد ، الاحسان في تقريب ابن حبان ط 1 ، 1408هـ - 1988م ، ج 14 ، تح شعيب الارناؤط ، مؤسسة الرسالة بيروت ، لبنان، ص 487 .
[6] - أبوالطيب محمد صديق ، فتح البيان في مقاصد القرآن ، ج4، راجعه عبدالله إبراهيم الأنصاري ،عام النشر 1412هـ - 1992م - المكتبة العصرية للطباعة والنشر ،ص414 .

من دلائل تكريم الله للإنسان على سائر الحيوان، لأن الله تعالى رزق الإنسان القدرة على الإبانة مذ أُنزِل إلى الأرض، وعلى ذلك فهي فطرة؛ فطره الله عليها، وارتياط الخطابة بفطرة الإنسان جعلها الأسلوب الأمثل لتبليغ الشرائع السماوية وتوصيلها إلى الناس عن طريق الرسل والأنبياء بمخاطبتهم الناس والتأثير فيهم و إقناعهم، ولذلك فقد لازمت الخطابة ظهور الأنبياء والرسل لاعتمادها وسيلة لأداء مهمتهم في تبليغ ما أمرهم الله به من الشرائع. وسار العلماء على نهج الأنبياء والرسل في الدعوة إلى الله تعالى إلى يومنا هذا وأصبحوا بالخطابة مربين ومصلحين لمجتمعاتهم " قال النبي ﷺ: العلماء ورثة الأنبياء، وأن الأنبياء لم يورثوا دينارًولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر "[1] ويقول الله سبحانه وتعالى في فضل الخطابة الدعوية "﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ "[2].

**الخطابة عند اليونان:**

قضت البلاد اليونانية ردحا من الزمن وهي قبائل مفككة ، تكاد كل قبيلة أو جماعة منها تكون مستقلة عن الأخرى، بينها تنافس وسباق على أسباب العيش و وسائل الحياة. ولم تكن هذه القبائل ترجع إلى أصل واحد، ولكنها أجناس شتى. وقد سجل التاريخ أحداثا كثيرة وحروبا طويلة كان من أبرزها قيام التنافس بين أثينا وأسبرطة، الذي اشتد حتى أدى إلى حروب بينهما انتهت باستسلام أثينا وزعامة إسبرطة على البلاد اليونانية. ولقد اعتمدت الحروب اليونانية في شتى مواقفها على الخطابة سيما وأن الخطابة تنضج وتقوى عادة في أيام الحروب والمشادات، مما أكسبها قوة نضجاً وأصبح للخطابة مكانة معتبرة في حياة اليونانيين فسمت " فضيلة القول والتعبير البليغ"[3]. ولما سادت الديقراطية بلاد اليونان، وشاعت الحرية السياسية، نشطت الخطابة بصورة أكبر، ووضع

[1] - أيوب ، حسن محمد ، تبسيط العقائد الإسلامية ، ط5 ، 1403هـ - 1983م ، دارالندوة لبنان ، ص114 .أخرج الحديث أبو داؤد والترمزي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه من حديث أبى الدرداء، أنظره في العراقي ، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، ط1، 1426 هـ - 2005 م، دار ابن حزم، بيروت – لبنان،باب العلم

[2] - سورة فصلت 33.

[3] - الواعي ، توفيق ، الخطابة وإعداد الخطيب ، ص18 .

اليونانيون الخطابة في منزلة رفيعة وسامية في كل أمورهم ومناحى حياتهم، وبالتالى "اتجهت عقول الناس وجهودهم إلى تعلم الخطابة والدربة عليها والتمرين على الإلقاء وتطويع اللسان على النطق الصحيح والبيان الفصيح" [1].

ويرجع الفضل في تطور الخطابة عند اليونان إلى ثلاثة من أهل السفسطة قيل أنهم أول من وضع قواعد الخطابة قوانينها هم :

1.برويكوس القوسي المتوفى سنة (430 ق م).

2.بروتاغوس ( 485 . 411 هـ م ).

3. جودجياس ( 485 . 380 ق م).[2]

**الخطابة عند الرومان:**

ترتبط حال الخطابة الرومانية بحال الحكم في تلك البلاد ،فقد نشأت الحكومة الرومانية في روما ملكية مطلقة، تعامل الناس على أنها تستمد سلطانها من السماء، ومنذ سنة (500) ق.م تحولت إلى الجمهورية. و" لم تكن حياة الرومان متمتعة بحرية كافية، ولكن ظهر فيها بين حين وآخر خطباء، وبرزت مواقف خطابية عظيمة "[3] وتطورت الخطابة الرومانية بعد احتلال روما لليونان. ومن المسلم به أن الغزو العسكري يحمل معه تأثيرات الطرف الغازي إلا أن هذا لم يحدث عندما غزت روما بلاد اليونان، في القرون الأخيرة قبل الميلاد، ومع ذلك فإن الحضارة اليونانية هي التي غزت الرومان طوال هذه القرون ؛ غزواً يكاد يكون كاملاً، سواء كان من جانب " العلم أو الأدب أو الفلسفة أو المسرح أو الفن في كافة صوره، بل إنه رغم احتفاظ الرومان بلغتهم اللاتينية وتطويرها إلى مستوى النثر الفني للكتابة الراقية إلا أن اللغة اليونانية بقيت رغم ذلك لغة الثقافة

[1] ـ الواعي ، توفيق ، الخطابة وإعداد الخطيب ص18.
[2] ـ انظر أبو زاهر ، الخطابة أصولها وتاريخا في أزهر عصورها ص10 .
[3] ـ شلبي ، عبد الجليل ، الخطابة و إعداد الخطيب ، ص159.

الأولى " [1] التي لا يستغني أديب أو خطيب أو مفكر سياسي عن دراستها والتعمق فيها. لقد لاحظنا في النقطة الماضية أن الرومان أخذوا الكثير من اليونان في مجال العلم والثقافة وهذا يدل على عبقرية اليونان الفكرية وتفوقهم العقلي، لأن روما المنتصرة أصبحت أسيرة اليونان بعدما تغلغلت الثقافة اليونانية في ربوعها.

**أشهر الخطباء الرومان :**

كان أشهر الخطباء الرومان ماركوس لويس شيشرون، الذي " ولد عام 106 .ق. م، وتوفي سنة 43 ق.م [2] وهو خطيب وكاتب سياسي، تلقى العلم على خيرة أساتذة عصره في روما وأثينا. اشترك في الحياة العامة، وتقلد مناصب في الدولة، وأخذ عليه بعض المؤرخين صفة الغرور ومن غروره قوله : " تقديري لنفسي أنها أعظم الأشياء عندي "[3] وهو لم يكن يرى أن لقيصر حاكم روما الحق في شهرة تفوق شهرته، و أن البيان فوق السلطان، فعلى روما أن تقدر خطباءها قبل قادتهم وكان شيشرون " محامياً قديرا وخطيباً بليغاً، وكاتباً ممتازاً ، ترك مؤلفات عديدة في البيان والفلسفة فضلاً عن عدد كبير من الخطب الرائعة وقد طقت شهرته على من سواه بسعة ثقافته وغزارة مؤلفاته، وتدفق بيانه. [4] وممن نبغوا في الخطابة فى روما أيضا الخطيب الروماني الإسباني الأصل كونتليان الذي عاش في حدود القرن الآخير قبل الميلاد "وقد كان خطيبا بليغا ومن علماء البيان وقام بتدريس أصول البلاغة، والَّف كتاباً ضخماً عن أسس الخطابة؛ يتكون من اثني عشر جزءاً أوَّلها يبدأ بالكلام عن تربية النشء، ثم انتقل فى الأجزاء الأُخرى إلى الكلام عن أصول الخطابة وقواعدها ووضع للخطيب المفوَّه خطة تساعده على إتقان فنه، فطلب منه الإلمام بثقافة عصره كلها ونصح له بالروية. وقام كونتليان بتقسيم الخطبة إلى: مقدمة وقضية وبرهان و دحض

[1] ـ عبد الوهاب ، لطفي ، العرب في العصور القديمة ، ط2 ، د ت ، دار المعرفة الجامعية ، ص52 ـ 53 .
[2] ـ انظر شلبي ، عبد الجليل ،الخطابة و إعداد الخطيب ، ص160 .
[3] ـ ديورانت ، وليام جيمس ، قصة الحضارة ، ج9 ، ص331.
[4] ـ انظر شلبي عبد الجليل الخطابة وإعداد الخطيب ، ص160 وما بعدها .

وختام . كما حذر الخطيب من الإطالة؛ وبين له أن الحذف أهم من الإضافة لكي يبرأ الكلام من اللغو والفضول، ولقد اشتهر كونتليان بأسلوبه الأخاذ الجميل، الذي أُعجب به كل من قرأ له، لذلك كان تأثيره كبيراً فى العصور القديمة.[1]

عموما لم تكن الخطابة عند الرومان ذات حظٍ من الرقي والانتعاش، بسبب ماكان يسود الحياة السياسية من استبداد، وتسلط، على عكس ماكان لدى اليونان ولكن ظهر بعض الخطباء الرومان بين حينٍ وآخرممن تأثر بثقافة اليونان على اختلاف الامتين، إذ أن اليونان أُمة فلسفة وأدب وفنون. أما الرومان فكانوا أمة سياسة وقوانين، وكانوا يعتمدون على التراث اليوناني في الفلسفة والآداب " ولهذا يقول المؤرخون :إن اليونان غزو الرومان فكرياً حين غزاهم الرومان عسكرياً."[2] مما سبق ندرك أن الخطابة فن قديم نشأ مع الإنسان وصعد معه مدارج الرقي، لذلك لا نجد أُمة من الأمم عبر التاريخ لم تعرفه لأنه لازمة من لوازم الحياة الإنسانية. وقد كان للرسل والأنبياء القدح المعلى فيها؛ حين خطبوا في أقوامهم يدعونهم إلى الله عزَّ وجل، ومن ثم أن النبوة والرسالة كانت دليلاً على أن الخطابة نشأت مع الإنسان حين دبَّ الى الأرض، وأن روادها العظام هم الأنبياء والمرسلون. وأن كل خصائص الخطابة، وطرق الإقناع والتأثير وُجدت في خطابتهم عليهم السلام. وهناك حقيقة تاريخية لابد أن نشير إليها والتى ذكرناها سابقا وهي أن الخطابة قديمة بقدم الإنسان، وعليه فليس الأصل فى وجود الخطابة هم اليونان كما يعتقد البعض بل هم أوَّل من وضع الأسس والأركان المكتوبة لهذا الفن، وهم الذين قننوا الخطابة وقعَّدوا لها فى أثينا، التى أضحت منارة للخطباء الذين امتازو ببلاغتهم وحسن إلقائهم .وكان لظهور مجموعة السفسطائين الدور الكبير في تطوير الخطابة اليونانية مما جعلها مهنة يسعى إليها من يريد بلوغ المراتب العليا في طبقات المجتمع، ويُعدُ مُؤلَّف كتاب (الخطابة )لأرسطو أوَّل مُؤلَّف جامع لعلم الخطابة. وقد

[1] ـ انظر قصة الحضارة ، ج10 ، ص199 ومابعدها .
[2] ـ شلبي ،عبد الجليل ، الخطابة وإعداد الخطيب ، ص161

بلغت الخطابة ذروتها فى العهد الروماني حين برز خطباء مشهورون مثل شيشرون وكونتليان، بالرغم من العداء الرومانى الاجتماعى للمدارس الخاصة بتعليم الخطابة في روما .

## الخطابة عند العرب:

## الخطابة فى العصر الجاهلي:

فى شبه الجزيرة العربية كان العرب يعشون فى إطار قبائل مختلفة وكان لكل قبيلة منهم رئيساً وأيضا لكل قبيلة سيادتها الخاصة بها، وكانوا يعشون فى صحاريهم القاحلة وبيئتهم القاسية الصعبة. وكانت الحروب والغازات كثيراً ما تشب بينهم وتحدث العداوة بينهم، وبعد هذه الحروب والمشادات يعقد الصلح والوئام بين القبائل المتحاربة. كان من بين أهم سمات هذه القبائل هو التفاخر بالأحساب والأنساب والمآثر وكانت كل قبيلة تسعى إلى أن ترفع مكانتها بين القبائل كما كانت المشورة سائدة بينهم فى كل ما يخصهم. وأيضا من سماتهم أنهم كانوا أولى غيرة وأهل مروءة ونجدة وكانت تتفشي فى هذه القبائل العربية عادات قبيحة مثل وأد البنات خوفاً من الفقر مع وجود بعض المعارضين لهذه العادات السيئة. من واقع هذا الحال فى شبه الجزيرة العربية وطبيعة بيئتهم وكل ما ذكرناه آنفاً توفرت الظروف المشجعة على الخطابة والمثيرة لها بالإضافة إلى حرية التعبير التى كانوا يتمتعون بها فى إبداء الرأي وما يتحلون به من شجاعة وإقدام إلى جانب تمكنهم من اللغة وامتلاك ناصيتها وما يتصفون به من البلاغة والفصاحة التى وجدت عندهم بالفطرة وأصبحت مزينة لأدبهم كل هذا أدي إلى وجود الخطابة عندهم وأسهم فى ازدهارها . جعل العرب فى الجاهلية للخطابة مكانة كبيرة فى حياتهم ودعتهم الحوجة إليها من خلال كثرة المناسبات التى تلقى فيها الخطابة لذلك نجدها عندهم متعددة الأغراض كما اهتموا بها اهتماماً كبيراً ولذلك عملوا على إجادتها وتحسينها وتباروا فيها فى طريقة إلقائها. هذا وقد تحدث الكتاب كثيراً عند الخطابة الجاهلية وأكدوا عدم وجود نصوص للخطابة فى ذلك العصر بصورة كافية ترصد تطورها لبعد المسافة بين

العصر الجاهلي وعصر التدوين فقد قال شوقي ضيف " ليس بين أيدينا نصوص وثيقة من الخطابة الجاهلية ، لما قلناه من بعد المسافة بين العصر الذى قيلت فيه وعصور تدوينها "[1] وقال أيضا أن ما ورد فى كتاب الآمالي والعقد الفريد من نصوص للخطابة أكثره منحول وقال " على أن اتهامنا لنصوصها لا ينتهي بنا إلى إنكارها على الجاهليين بل أنه لا ينتهي بنا إلى إنكار ازدهارها كما حاول بعض الباحثين."[2] وقال غازي طليمات وعرفات الأشقر " كان للخطابة فى العصر الجاهلي شأن وأي شأن، إلا أنه ليس بين أيدينا نصوص تمثل تطور هذا الفن وترصد انتقاله من مرحلة إلى مرحلة والشك فيما بلغنا من خطب لا يدفعنا إلى إنكارها."[3] وقد كانت بيئة العرب وظروف الحياة التى يعشونها تقتضى ازدهار وتطور الخطابة وتجعلها موازية للشعر فى ترجمة الأفكار والمشاعر. وقد كانت بيئة العرب وظروف الحياة التى يعشونها تقتضى ازدهار وتطور الخطابة وتجعلها موازية للشعر فى ترجمة الأفكار والمشاعر وكانت هناك ثلاثة أنواع من النثر شهدها العصر الجاهلي هى الأمثال والخطابة وسجع الكهان، كما نلاحظ وجود الخطابة إلى جانب الشعر الذين لهما أكثر أدوات التعبير استخداماً فى العصر الجاهلي من الأمثال وسجع الكهان هذا رأيٌ كباحث. إلا أنه ورد عند كثير من الباحثين أن سجع الكهان كان هو من أقدم ألوان التعبير الأدبي التى عرفها الجاهليون وكان يمتاز بالغموض فى دلالة كلماته وكذلك الغرابة فى ألفاظه . وكان أول أسلوب عرف عند العرب بشكل فني ينزع إلى التأثير فى السامعين، وأشهر بين العرب كثير من الكهان الذين كانوا يعتمدون على السجع قصر العبارة وإيجازها فى شكل بسيط ومنه قول بعضهم: " الأرض والسماء، والعقاب و الصقعاء واقعة ببقاء، لقد نفر المجد بني الشعراء للمجد وللنساء."[4] ويرى الباحث أن الخطابة هى أقدم أنواع النثر من سجع الكهان فى ذلك

[1] - ضيف،شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي ، ط11 ، د ت ، دار المعارف ، ص410.
[2] - ضيف،شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي ،ص410.
[3] - طليمات، غازي، ولأشقر، عرفات، الأدب الجاهلي قضاياه وأغراضه، أعلامه وفنونه، ط 2 ، دار الفكر، دمشق، ص553.
[4] - عطية، مختار، الإيجاز فى كلام العرب ونص الإعجاز، دت، دار العروبة الجامعية، ص120.

العصر لأن الإنسان بطبيعته الفطرية التى جبل عليها يحتاج إلى التخاطب مع غيره من بني جنسه ليبين لهم عما فى ضميره وكما ذكرت سلفا أن سجع الكهان كان يمتاز بالغرابة حتى فى ألفاظه ولغموض فى دلالته لذلك فهو لا يصلح أن يكون الجاهليون قد استخدموه فى تعاملاتهم وعبروا به احتياجاتهم التى تدور فى خلدهم لذلك فالخطابة هى أقدم أنواع النثر على الإطلاق. فقد كان هؤلاء الكهان يدعون التنبؤ بمعرفة الأمور الغيبية فكان يصدقهم الناس، لذلك ذاع صيتهم وأصبحت لهم مكانة رفيعة فى المجتمع الجاهلي "فكثيراً ما يسيطر الكاهن على مجموعة من القبائل بكهانته فتصدر عن رأيه، وقد تتخطى شهرته إقليمه فتقصده العرب من أقاليم نائية."[1] كانت الخطابة فى العصر الجاهلي فى تعبيرها أصدق عبارة من سجع الكهان ولعل ذلك يرجع إلى اتصالها الكبير بالمجتمع الجاهلي فى ذلك الوقت فقد كان العرب يدربون فتيانهم على الخطابة منذ الحداثة حتى يتعلموا كيف يدافعون عن شرف القبيلة كما أستخدم الجاهليون الخطابة فى فك النزاعات التى تنشب بين الأحياء واستخدموها فى السفارة بين رؤوس القبائل لذلك كان لكل قبيلة شاعر وخطيب فالشاعر يرفع من شأن القبيلة وأحياناً نجد أن الصفتين قد تجتمعا فى شخص واحد. "فالخطابة كالشعر لحمتها الخيال وسُداها البلاغة، وهى مظهر من مظاهر الفروسية، وسبيل من سبل التأثير والإقناع يحتاج ذلاقة لسان، ونصاعة البيان وأناقة اللهجة وطلاقة البديهة."[2] كان للشاعر فى الجاهلية مكانة كبيرة ورفيعة أعلى من منزلة الخطيب لأن الشاعر كان يذكر مآثر قبيلته ويدونها فى شعره فيسهل على الناس حفظها كما كان الشاعر يُفخم من شأن القبيلة ويصف فرسانها بالشجعان حتى يدس الخوف فيمن عاداهم من القبائل الأخرى. "فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكتبة ورحلوا إلى الشوقة، وتسارعوا إلى أعراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق

[1] ـ ضيف ، أحمد شوقى ، الفن ومذاهبه فى النثر ، ط 13 ، دار المعرف ، ص 38.
[3]- الزيات ، أحمد حسن ، تاريخ الأدب العربي ، د ت ، دار الشروق العربي ، ص24.

الشاعر."[1] وهكذا ارتفع شأن الخطيب وسما قدره بعد أن أصبح الشاعر يتخذ من شعره وسيلة للكسب والعمل على هتك أعراض الناس وأما فى الحديث عن أسلوب الخطابة الجاهلية نجد أنهم كانوا يكثرون فيها من الأمثال والحكم كما نجد فيها السجع والعبارات الخلابة والألفاظ الجميلة والرائعة كما نجدهم يحرصون على أن تكون الخطبة قصيرة حتى تعلق بالأذهان والصدور، ومن عادات العرب فى الخطبة الوقوف على مكان مرتفع من الأرض حتى يرى الناس الخصيب أو القيام ظهر الدابة وغيرها من العادات."وكانوا يحبون من الخطيب أن يكون حسن الشارة، جهير الصوت سليم المنطق، وأشهر خطبائهم فى هذا العصر قس بن ساعدة الأيادي وعمرو بن كلثوم التغلبي، وأكثم بن صبغي التميمي والحارث بن عباد البكري وقس بن زهير الجسمي، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي."[2] ولنأخذ نموذج من الخطابة الجاهلية ولكن خطبة لقس بن ساعدة الأيادي الذى قيل عنه أنه أول من اتكأ على سيف أو عصا عند خطبته وأيضا قيل أنه أول من قال أما بعد. فقد ألقى خطبة فى سوق عكاظ قال فيها: " يا أيها الناس أسمعوا و أعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت، ليلٌ داج، وسماء ذات أبراج، بحارُ تزخر ونجوم تزهر، وضوء وظلام، وبر و أنام، ومطعم ومشرب، وملبس ومركب، مالي أرى الناس بذهبون ولا يرجعون،أرضوا بالمقام فأقموا أم تركوا فناموا، ثم أنشأ يقول:

| | | |
|---|---|---|
| فى الذاهبين الأولى | ********** | ن من القرون لنا بصائر |
| لما رأيت مـــــواردا | ********** ** | للمـــــوت ليس مصادر |
| ورأيت قومي نحوها | ********** | يمضى الأصاغر والأكابر |
| أيقنت أني لا محالة | ********** | حيث صار القوم صائر"[3] |

[1] ـ الجاحظ ، أبو عثمان عمر بحر ، البيان والتبين ، ج1 ، ط7 ، زززز عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ص241.
[2] ـ الزيات ، أحمد حسن ، تاريخ الأدب العربي ، ص25.
[3] ـ شيخو،يعقوب ، رزق بن يوسف بن المسح ، ج4، طبع عام 1913م مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ، ص 296 ، 297

**الخطابة فى العصر الإسلامي:**

كان لظهور سيدنا محمد ﷺ بالدعوة الإسلامية أثر كبير فى ازدهار الخطابة وتطورها وذلك حينما دعا الناس إلى عبادة الله وترك عبادة الأصنام والأوثان ولكنه وجد معارضة كبيرة رافضة لأمر هذه الدعوة من كفار قريش، فبدأ معه كفار قريش بالحوار أولاً طالبة منه أن يترك أمر هذه الدعوة فكان أن عرضت قريش على النبي ﷺ المال والجاه فرفضها النبي ﷺ وقال لهم: والله لو وضعت الشمس فى يميني والقمر فى يساري ما تركت هذا الأمر أبداً حتى أنفذه أو أهلك دونه. عندها لجأ كفار فريش إلى الأمر الثاني وهو استعمال القوة والبطش فقاموا بتهديده وسعوا إلى الإحالة بينه وبين الناس وقاموا بإيذاء كل من أشبع النبي ﷺ وآمن برسالته، فأصر النبي ﷺ على تبليغ الناس الدعوة ولم تكن هناك وسيلة غير الإقناع والإرشاد فنادي فى الناس بأبلغ القول وخاطبهم بأروع الكلمات ناشراً وداعياً لرسالته كل الناس أفراداً وجماعات وكان الشعر والخطابة فى ذلك العصر هما الوسيلتين الوحيدتين اللتين كان يستعملهما الناس فى التعبير عن آرائهم، فأستعل النبي صلى الله عليه وسلم فى دعوته الخطابة أما الشعر فالله سبحانه وتعالى نزَّه النبي ﷺ عن قوله فلم يجد النبي ﷺ إلا الخطابة " الوسيلة الوحيدة التي يمكن أن يجمع بها الناس حوله، ليفهمهم مبادئ الدين الذي يدعو إليه ويعرض عليهم أمره"[1] وكان من البديهي أن تكون أولي الدواعيش للخطابة في هذا العصر الإسلامي هذه الدعوة التي جاء بها خاتم النبيين سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم. فقد جاء سيدنا محمد ﷺ بهذا الدين القويم في القول ضاعتهم والبلاغة بكل عنايتهم فقادعهم بالحجة ضاقت صدورهم من سماع قوله لذلك عجزوا عن مجادلة بالخطاب والحجة فلجو إلي القوة واستعملوا الحسام في حلابهم ضده وتكلموا بالسيوف والرماح بدل للسان "فالخطابة كانت الأداة الأولي للدعوة

[1] ـ الصفار ، ابتسام مرهون ، الأمالي في الآدب الإسلامي ، دت ، دار المناهج 1426هـ 2006م ، ص 264

المحمدية، وكان السلاح هو الذي يرفعه خصومه في الرد عليه، فكانت تلك الدعوة سبباً في انتشار الخطابة ورفع درجة البيان."[1]

يتبين لنا من هذا أن الخطابة نشطت نشاطاً كبيراً منذ بدايات الدعوة الإسلامية فقد كان النبي صلي الله عليه وسلم أفصح الخطباء وأبلغهم فقد جعل من الخطابة وسيلة لتبليغ الرسالة وبيان تعاليم الدين الإسلامي من أوامر ونواهي فعمل علي ترسيخ المعاني التي جاء بها القرآن الكريم بأسلوب غاية في الفصاحة والبيان حتى يؤثر في نفوس الناس. كان النبي صلي الله عليه وسلم أفصح العرب بياناً وقد وصف نفسه بذلك فقال:" أنا أفصح العرب بيد أني من قريش". وجاء في كتاب الآمالي فى الأدب الإسلامي لابتسام مرهون أن أبن الأثير وصف بلاغة النبي صلي الله عليه وسلم بقوله:" كان أفصح العرب لساناً، وأوضحهم بياناً، وأعذبهم نطقاً وأشدهم لفظاً، وأبينهم لهجة، وأقومهم حجة، وأعرفهم بمواقع الخطاب، وأهدهم إلي طريق الصواب."[2] عاش النبي صلي الله عليه وسلم حياته في أخلص القبائل العربية فصاحة ونصاعة بيان وولد في أشرف بين قبيلة قريش وكانت نشأته الأولي بها وكانت رضاعته فى بني سعد عند حليمة السعدية وكان أفصح العرب جميعهم بالفطرة التى كان عليها وقد قال أنا أفصح العرب بيد أنِّي من قريش وهو لم يكذب فى ذلك ولم يفند حديثه أحد ولم يرده عليه فقد كانت" فصاحة الرسول ﷺ أشبه بالإلهام والفيض، فلم يعانها ولم يتكلفها ولم يرتض لها، وإنما أُسلست له الألفاظ وأسمحت له المعاني فلم يند فى لسانه لفظ، ولم يضطرب في أسلوبه عبارة، ولم يعزب عن علمه لغة، ولم يَنْبُ عن خاطره فكرة."[3]

وأورد صاحب تاريخ الأدب العربي ما قاله الجاحظ عن كلام النبي ﷺ وقال : "هو الكلام الذى قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه، وجلَّ عن الصنعة ونزِّه عن التكلف، أستعمل المبسوط فى موضع

[1] ـ أبو زهرة ، محمد الإمام ، الخطابة أصولها تاريخها فى أزهر عصورها عند العرب، ص205.
[3]ـ الصفار ، ابتسام مرهون ، الآمالي فى الأدب الإسلامي ، ص 271.
[4]ـ الزيات ، أحمد حسن ، تاريخ الأدب العربي ، ص171.

البسيط، والمقصود فى موضع القصير، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السُّوقي، فلم ينطق إلا عن ميزان الحكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُق بالعصمة، وشُدَّ بالتأييد، و يُسِّر بالتوفيق، ثم لم يسمع كلام قد أعم نفعاً، ولا أصدق ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح من معناه، ولا أبين من فحواه من كلامه ﷺ"[1] كان من أهم الأسباب التى ارتقت بالخطابة فى ذلك الحين وبلغت بها غاية الكمال تلك الدعوة التى جاء بها سيدنا محمد ﷺ والتى غيرت حياة العرب تغيراً كاملاً فى شتى ضروب الحياة وفى تعاملاتهم الاقتصادية والاجتماعية والدينية بصفة خاصة، وكان من أغراض الخطابة فى هذا العصر الدعوة إلى الدين الحنيف والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ورد البدع كما استعملت أيضا فى قمع الفتن وفى تحميس الجند للحرب وغيرها من الأغراض الأخرى. وكان للخطباء فى هذا العصر من آي القرآن وحججه وبراهينه معين لا ينضب ومدد لا ينفذ لما لهذه الآيات من البراهين المعجزة والحجج التى لا يمكن لأي إنسان إنكارها. وأيضا من الأسباب التى أدت إلى رُقي الخطابة وتطورها فى هذا العصر وجود الفرق حين اختلف المسلمون بعد مقتل سيدنا عثمان بن عفان وأعتمد كل حزب على الخطابة فى نشر نحلته ومحاولة كسب تأييد الناس لدعوته وأهم ما يميز الخطابة فى هذا العصر هو الاقتباس من القرآن الكريم وسيرها على منهجه فى اتخاذ الحجة لإقناع الناس وإرشادهم وكانت تتميز ألفاظها بالعذوبة وأسلوبها بالقوة والمتانة وتأثيرها فى الناس. "وظل العرب على ما ألفوه فى الجاهلية من لوث العمامة واتخاذ المخصرة والوقوف على نشز من الأرض والخطبة من يقام "[2]

وأخيراً لا بد أن نشير أنه لا يوجد عصر من العصور أهتم بهذه الخطابة وعنى بها كالعصر الإسلامي وذلك لأن الناس انصرفوا عن الشعر وانكبوا عليها واعتمدوا عليها فى أمورهم الدنيوية

[1] ـ الزيات ، أحمد حسن ، تاريخ الأدب العربي ، ص171.
[2] ـ الزيات ، أحمد حسن ، تاريخ الأدب العربي ، ص167

والأخروية. كما لا بد أن نُشير إلى أن النبي ﷺ كان من أشهر خطباء هذا العصر وجاء الخلفاء الراشدون من بعده.

**الخطابة فى العصر الأموي :**

هنالك عوامل كثيرة أسهمت فى تطور الخطابة وازدهارها فى العصر الأموي وأرجع الباحثون هذا التطور إلى أن العرب فى ذلك الزمان ما زالوا على سليقتهم اللغوية التى نشؤ عليها والتى ورثوها من آبائهم وأجدادهم لذلك لم تفسد ألسنتهم ولم تتغير رغم مجاورتهم للأمم من الفرس والروم ورغم الاختلاط الذى حدث بينهم وبين تلك الأمم التى دخلت بلاد العرب وعاشت معهم فى موطنهم حيث "كانوا من بلاغة المنطق وحسن البيان ووجوه الإفصاح والإفهام بحيث يستطيع متكلمهم أن يبلغ ما يريد من استمالة الأسماع مع الديباجة الرائعة والرونق البديع" [1] وذكر شوقى ضيف صاحب تاريخ الأدب الأموي فى كتابه " البيان والتبين " وقال شوقي أن الجاحظ قد أشاد إشادة كبيرة بقدراتهم الخطابية وقال حتى أنه بلغ من إشادته بهم أن دفعهم مكانة سامية وعالية فى إجادتهم للخطابة والخوض فى مضمارها على جميع الأمم والشعوب بما فى ذلك الفرس واليونان كما نجد فى هذا العصر الأموي أن الخطابة بلغت من النضج والقوة والاتساع ما لم تبلغه الخطابة فى أي عصر من العصور السابقة لعهد بني أمية "وإذا كانت الخطابة قد نشطت ونهضت فى عصر النبوة، وذلك لتوفر دواعيها، وقوة أسبابها فإن تلك الدواعي والأسباب قد تضاعفت فى عهد بني أمية حتى أصبح اللسان هو الوسيلة الأولى للتعبير عن مطالب الحياة وحاجاتها فى مناحيها المختلفة المتشعبة."[2] أهتم الخطباء الأمويون بصفة عامة بخطبهم وأولوها عناية فائقة وإلى جانب الفصاحة التى كانوا يتمتعون بها والبلاغة الفطرية التى جُبلوا عليها فقد كانوا يتخيرون الألفاظ لخُطبهم ويتقنونها انتقاءاً كما كانوا يعملون على تجويد العبارة والتوخي الدقيق فى اختيار المعاني المصيبة لبلوغ مآربهم التى

[1] ـ ضيف، شوقي ، تاريخ الأدب العربي، الأدب الإسلامي، العشرون، د ت، دار المعارف، ص405.
[2]- بديع ، عبدالحكيم ، النثر الفني وأثر الجاحظ فيه ، الناشر لجنة البيان العربي ، د ت ، ص120.

يسعون إلى تحقيقها بجانب انتقاء الأفكار لهذه الخطب حتى يتمكنوا من إحداث الأثر الذى يريدون." كما كانوا يدمجون فيها أحياناً ألواناً من الصور البيانية المختلفة التى تزيد المعنى حلاوة وقوة، ولكنهم مع هذا كانوا لا يسرفون فى هذه العناية، بل لكلامهم من الجزالة وقوة الأثر ومتانة السبك ما يحفظ عليهم كثيراً من صبغتهم البدوية القديمة."[1] التطور الذى أصاب الحياة فى عهد بني أمية فى النواحي الاجتماعية والسياسية والثقافية كان له الأثر الواضح فى رُقى الخطابة العربية فى ذلك العصر فى جميع نواحيها سواء كان ذلك فى الموضوعات التى يطرحونها أو فى تخيرهم لألفاظهم الخطابية ومعانيها " ولكن أسلوب الخطبة بعامة قد ظل محتفظاً إلى حد كبير بطابعه البدوي القديم، حتى إإننا نستطيع أن نصفه بأنه جزل فى غير توعر، وسهل فى غير تمييع، ومنمق فى غير إسراف."[2] والشيء اللافت للانتباه فى هذا العصر الأموي هو كثرة عدد الخطباء كثرة مدهشة مع اختلاف نواحيهم وتعدد الطوائف التى ينتمون إليها والمذاهب الفكرية التى يعتنقونها وينتمون إليها فقد كان لكل طائفة منهم فئة من المتكلمين يدافعون عنها فقد كان هناك خطباء لآل البيت وخطباء لبني أمية أن يتبعون للأسرة الحاكمة وخطباء صارعوا بني أمية على الخلافة وخطباء للمجالس وخطباء للخوارج ، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر" فمن الخطباء آل البيت عبدالله بن الحسن وزيد بن على بن الحسين وكان أقدم أهل زمانها لساناً وحجة. ومن الأمويين معاوية، ويزيد، وعبد الملك بن مروان، وعمر بن عبد العزيز وزياد بن أبيه والحجاج بن يوسف"[3] أما الذين نازعوا بني أمية وصارعوهم على كرسي الخلافة فمنهم "عبدالله بن الزبير، ومصعب أخوه، وكثيرون من أسرتهما، ومن الخوارج قطري بن الفجاءة وعمران بن حطان، وأبو عبيدة الأباضى، و أبو حمزة البشاري."[4]

---

[1] ـ بديع ، عبدالحكيم ، النثر الفني وأثر الجاحظ فيه ، ص23

[4]ـ بديع ، عبدالحكيم ، النثر الفني وأثر الجاحظ فيه ، ص124.

[5]ـ أبو زهرة ، محمد ، الإمام ، الخطابة أصولها تاريخها فى أزهر عصورها ، ص250.

[4] ـ أبو زهرة ، محمد ، الإمام ،ص250

**المبحث الثالث:**

**أركانها الخطابة و عناصرها:**

**أركان الخطابة:**

وضع الباحثون في حقل الخطابة ثلاثة أركان للخطابة وهي:

1. الخطيب: (القائل أو المرسل) 2. الخطبة: (المقول فيه)

3. المتلقي: (المستمع أو المستقبل)[1]

**أولاً: الخطيب:**

هو الركن الأساسي في إعداد الخطبة وعلى استعداداته وقدراته تُبني الخطبة لذلك يجب أن يكون شخصاً مؤهلاً للخطابة، على درجة عالية من الاحترافية في مجال الخطابة التى سيخطبها وهذا لا يتأتي إلا من خلال الكفاءة الشخصية وتكامل الموهبة. و لا تنبعث فيها القوة وتدب في كيانها الحياة وتتحقق منها الإفادة التامة، والتأثير المطلوب ، إذا لم يكن الخطيب فصيحاً متمكناًتتوافر فيه مقومات الخطيب وصفاته اللازمة والمؤهلة له ، كي يكون خطيباً جيداُ ومتحدثاً لبقاً يأسر القلوب بفصاحته، ويستميل الناس بقوة تأثيره، فهو" الذي يقدر على التصرف في فنون القول حين يخاطب جمهوراً من الناس يحاول إقناعهم بما يجول في خاطره من أفكار والتأثير في نفوسهم بما يستعر في أعماقه من عاطفة."[2]

الخطيب أهم أركان الخطابة لأنه العامل الرئيس المؤثر فى الركنين الآخرين لذا ينبغى للخطيب المتطلع للنبوغ و الإبداع أن يعرف مواهبه الخاصة ويحسن صقلها وتنميتها، كما يجب عليه أن يتصف ببعض الصفات، حتى يستميل إليه القلوب ويؤثر فيها، ويقنعها بقوله.

[1] ـ انظربويكلى ، عبدالرحمن ، الأساس فى الدعوة والخطابة ، ط6 ، 2006 ، طوب بريس ـ الرباط ، ص 11

[2] - مكتبي،نذير،خصائص الخطبة والخطيب،ط1409،1هـ،دار البشائر الإسلامية ، بيروت ،ص241.

**صفات الخطيب :**

تنقسم الصفات المبتغاة في الخطيب إلى نوعين:

1. صفات فطرية. 2. صفات مكتسبة.

**1ـ الصفات الفطرية**

ويقصد بها الصفات الذاتية لدى الخطيب، من الاستعداد الفطري والصوت الجهور وطلاقة اللسان، وفصاحة المنطق وجاء في البيان والتبيين "قال يونس بن حبيب: ليس لعيي مروءة، ولا لمنقوص البيان بهاء، ولو حك بيافوخه أعنان السماء." [1]

والخطيب كغيره من المربين والموجهين والسياسيين، يحتاج إلي عقل راجح يقوده إلى البحث المركز والملاحظة الدقيقة والمعرفة. بطبائع الأشياء والقدرة على الاستنتاج، وبديهة نيِّره تقوده "أولاً لمعرفة الأقوال التى يحصل بها الإقناع، وثانياً معرفة الأخلاق والفضائل الذاتية، وثالثاً معرفة الانفعالات، ومن أيّ شيء تكون."[2] بالإضافة إلى ذلك يحتاج الخطيب إلى الجرأة والشجاعة والثقة بالنفس ورباطة الجأش.

**2.الصفات المكتسبة:**

وهي صفات ينالها الخطيب بالدراسة والمران، ذلك أن الخطابة موهبة تحتاج إلى صقل وتنمية وتطوير، وكذلك هي مهارة يمكن تنميتها بالدرس والاطلاع، والإتقان فيها لا يتأتي إلا بالممارسة والتدريب فيصقلها ويتعرف على قدراته فينميها.وهذا التدريب يحتاج إلى صبر ومثابرة واستمرار حتى النجاح رغم وجود العثرات والأخطاء، فلا ينبغي للخطيب أن تصرفه العثرات في خطبه الأولى عن المواصلة، ولا أن يشعر باليأس من الملاحظات والسخرية التى يتعرض لها في بعض الأحيان فيترك الاستمرار في التمرن والتدريب، فكثير من الخطباء العظام عانوا في البدايات

[1] ـ الجاحظ ، البيان والتبين ، ج1 ، ص 77

[2] ـ الشريف،محمد الطاهر بن عاشور ، أصول الخطابة والإنشاء،ط1339هـ ، مطبعة النهضة تونس ،ص54.

وتحملوا التدريب حتى تأهلوا، فقد روي أن عثمان بن عفان صعد المنبر "فأرتج عليه، فقال : إن أبابكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالاً، وأنتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى خطيب، وستأتيكم الخطب على وجهها إن شاء الله"[1]، وقال أبو زهرة :" إن ديموستين خطيب اليونان أنه عندما خطب على المنبر العام، قوبل كلامه بالقهقهة، إذ كان صوته ضعيفاً جداً ونفسه قصير، فتوافر عدة سنين على رياضة صوته، حتى صار أعظم خطيب في اليونان. " [2]

وأيضا من الصفات التى يجب على الخطيب أن يكتسبها الإلمام بأصول الخطابة وقواعدها،حتى يستطيع أن يطبقها في خطبته، وذلك لأن الخطابة علم وفن. فأما أنها علم فلأنها تعتمد على القواعد والقوانين المنظمة لها. والتي تظهر الأثر الفني، أي أنها علم قائم على أسس وأصول. وأما أنها فن فلأنها تعتمد في أساسها على الذوق والجمال أي أن الخطابة فن قائم على القدرة على الأداء، وهي أيضا أدب قائم على معرفة أساليب الكلام والتعبير والترابط بين الأمرين قوى ولا ينفك أحدهما عن الآخر، وإذا انعدم أحدهما ما كانت خطابة لأن من حفظ قواعد الخطابة ولم يكن ذا ذوق سليم أسمع الجمهور تقسيمات علمية صحيحة ولكنها تجعل المستمع يفر منه؛ لأنها لا ذوق فيها ولا جمال، وإذا توافرت سلامة الذوق وجمال الأداة ولم تكن القواعد موجودة، استمع الجمهور إلى عبارات منسقة جميلة لا هيكل ينظمها ولا هدف تسعى له، ولذلك كلما أجاد المتكلم في خطبته وصل إلى مبتغاه وتأثر به عدد كبير من المستمعين واندفع معظمهم إلى الإقبال على المطلوب الذي يرجوه الخطيب من خطبته.

أيضا ينبغي للخطيب التمكن من اللغة والنحو و أساليب القول، وذلك بأن يدرس آداب اللغة ويطلع على كلام البلغاء فيها، سواءً المنثور منه والمنظوم، ويتمعن في أسرار بلاغته وأسباب علو شأنه على غيره من الكلام، ويحاول تقليده ويحفظ من ألفاظ اللغة وأساليبها البيانية ما يمكنه

[1] -الجاحظ ، البيان والتبين ، ج1،ص345.
[2] - أبو زهرة ، الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها،ص25.

من التعبير عن المعنى الواحد بعدة عبارات وأساليب متغايرة تساعده فى تحقيق مراده، ويحتاج الخطيب في هذا المجال إلى ثروة كبيرة من الألفاظ والأساليب، وحفظ الكثير من الأقوال والحكم والأمثال "فاللغة العربية ثرية بالألفاظ متشعبة الأساليب، وفيها من طرائق الحقيقة والتشبيه، والاستعارة والمجاز ما يسد الحاجة، ويمد الخطيب بما يحتاج إليه من فنون القول، و أنواع التعبير"[1]، وعلى الخطيب دراسة اللغة دراسة نحوية حتى يسلم من الخطأ واللحن، فهذا أمر لا بد منه لأن الخطأ النحوي واللحن " أفحش وأسوأ. وأشنع من هذا أن يستعمل الخطيب اللغة العامية في خطبته."[2] فاللحن يؤدي إلى انتقاد الناس وانتقاصهم قدر الخطيب، وقد كان بين العرب قوم لحانون، وكانوا مضرب المثل والتندر، وكان الخلفاء يحتقرون المتحدث إذا أخطأ ولحن." فقد ارتفع إلي زياد رجل وأخوه في ميراث، فقال: إن أبونا مات، وإن أخينا وثب على مال أبانا فأكله. فأما زياد فقال:الذي أضعت من لسانك أضرّ عليك مما أضعت من مالك[3]." ومن الصفات التى على الخطيب اكتسابها الصفات الجسدية مثل: مظهره الخارجي، وطبيعة صوته، وحسن إلقائه لما لها من تأثير إيجابي على السامعين وهنالك بعض الصفات التى ينبغي للخطيب ألا يغفل عنها مثل: الحلم وسعة الصدر، التواضع، الصدق، الصبر، السيرة الحسنة والسمعة الطيبة.

**وقد عدد عبد الرحيم زلط صفات الخطيب في النقاط التالية:**

1. أن يكون من علية القوم، وشرفائها.
2. أن يكون بليغاً تدور الألفاظ على لسانه بسهولة.
3. أن يعي كل كلمة ينطقها.
4. أن يكون مقبول الشكل ، حسن الثياب والهندام.
5. أن يكون واضح الصوت، متجهاً بها إلي وسط السامعين.

---

[1] - أبو زهرة ،الخطابة أصولها وتاريخها ، ص183.
[2] - شلبى،عبد الجليل ، الخطابة والتبين ،ج2،ص153.
[3] - الجاحظ ، البيان والتبين ، ج2 ، ص153.

6. أن ينطق متمهلاً ، ويلاحظ نبرته ، وحسن الوقف.

7. أن يتحلى بمكارم الأخلاق، مبتعداً عن فاحش الكلام ، ومؤذيه.

8. أن يكون مثقفاً، واسع الإطلاع.[1]

**ثانياً:الخطبة**

وهى الركن الثاني من أركان فن الخطابة، ولها ثلاثة عناصر:

1. المقدمة.

2. العرض.

3. الخاتمة.

"ويسمى الأول حُسن الافتتاح والثاني بيان المقصد، والثالث تقسيم الخطاب[2].".

وهذه العناصر الثلاث لا يصرَّح بها أثناء إلقاء الخطبة، كما أنها عناصر متداخلة ومتناسقة، يبلغ الترابط بينها جودة حسب مقدرة الخطيب وخبرته وغزارة علمه، وهذا الانتظام والإحكام يجعل المعاني واضحة، والمقاصد ظاهرة ويضمن للمتحدث حسن الإصغاء من سامعيه وكمال الانتباه.

**1- المقدمة:**

مقدمة الشيء هي أول ماتراه العين منه، والإنسان بطبعه انطباعى تؤثر فيه المقدمات، ومقدمة الخطبة هي عبارات موجزة يفتتح بها الخطيب خطبته ويتخذها أداة يجتذب بها السامعين ويوجز فيها مراده، ومن ثم عليه أن يهتم بمقدمة خطبته غاية الاهتمام لأنها " فاتحة الكلام ومرجع فحواه." [3] ومن خلال ألفاظ المقدمة ينبغي على الخطيب أن " يثير الفكر إليها وليعطي السامعين

[1] - انظر زلط ، عبد الرحيم محمود ، الفنون الأدبية و أثرها في الحياة ،1978م، مكتبة الشاب مصر ، ص27 وما بعده.
[2] -أبو زهرة ، الخطابة أصولها وتاريخها ، ص25.
[3] - محفوظ، على، فن الخطابة و إعداد الخطيب، د ت ، دار الاعتصام ، ص51.

صورة إجمالية لها وليحصر لهم معانيه، وأفكاره في نطاق لا يتجاوزه، ولا يعدوه."[1] وأن يجملها بكل وسائل التجميل المناسبة التي تجذب المستمعين إليه.

وعليه فإن المقدمة هي ممهدة للموضوع، و أهم أجزاء الخطبة التى تشد انتباه السامعين وتهيئتهم لسماع ما سيقول لهم الخطيب، ويتوقف نجاح الخطيب غالباً على حُسن ابتدائه وبراعة استهلاله وقدرته على جذب انتباه سامعيه، وإثارة اهتمامهم به وبموضوعه. ولا شك أن لحظة وقوف الخطيب أمام الناس قبل شروعه فى القول تستحوذ على انتباههم ، فيتطلعون إليه ويتلهفون إلى سماع ما يقدمه إليهم، فيتحتم عليه أن يستهل خطبته بمقدمة بليغة مثيرة للانتباه حسنة الوقع على الآذان، فصيحة اللغة جيدة السبك دقيقة المعنى حتى تكون جذابة تشوِّق الحضور إلى سماعه وتخفف حدة نفورهم منه، وتهيئ أسماعهم لما سيأتي بعدها وتثير اهتمامهم بموضوعه وتلفت نظرهم إليه وتحملهم على الإصغاء إليه.لذا فلا بد فيها الجاذبية والجزالة وأن تكون " قريبة إلى ذهن المستمع متناسبة مع الخطبة."[2] ولا يلتزم الخطباء بطريقة معينة في مقدماتهم، فلكل خطيب أسلوبه الخاص به، بل يتنوع أسلوب الخطيب الواحد ويختلف باختلاف الموضوع أو الموقف وعلى اختلاف هذه الطرق لا بد أن يحتوى ما تفتتح به الخطبة على أشياء ثابتة كالبسملة والحمد لله والصلاة على النبي صلي الله عليه وسلم. وفي هذا السياق يقول الجاحظ : " أن خطباء السلف الطيب، وأهل البيان من التابعين بإحسان، ما زالوا يسمون الخطبة التي لم تبتدأ بالتحميد، وتستفتح بالتمجيد: البتراء. ويسمون التي لم توشح بالقرآن، وتزين بالصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلّم: «الشوهاء» "[3].

[1] - أبو زهرة ، الخطابة أصولها وتاريخها ، ص25.
[2] - الخرافى ، عبد المحسن عبد الله ، لطائف الأدب في استهلال الخطب، ط1 1433هـ - 2012م ،وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت،ص51.
[3] -الجاحظ، البيان والتبين ،ج2،ص6.

وأيضاً ينبغي أن تحتوى المقدمة على الإشارة إلى موضوع الخطبة والتنبيه إلى القصد منها بأن يذكر في صدر خطبته الموضوع الذي سيتناوله إجمالاً من غير تفصيل، ثم بعد يفتتح خطبته بإثارة فضول المستمعين، كأن يعمد إلى ذكر جوانب مهمة تتصل بما يتحدث عنه قبل الإفصاح عنه. وقد يبدأ بالحديث عن حادثة مثيرة أو ظرف طارئ له علاقة بموضوع الخطبة ، فيستخلص مقدمته من الملابسات الحاضرة وبما تفرضه الظروف مما يزيد رغبة المستمعين في الاستماع إلى التفاصيل فيضمن إصغائهم إلى بقية الخطبة. ونشير إلى ضرورة اتصال المقدمة بموضوع الخطبة وأن تكون قصيرة موجزة لكيلا يدرك السامعين الملل، وأيضا أن تكون واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، وتكون سهلة في ألفاظها قريبة إلى أذهان السامعين في معانيها. وأن تكون مثيرة تشوّق السامعين إلى سماعها وترغب في ما بعدها دون أن يتكلف فيها الخطيب حتى لا يثقل على النفس كلامه، ولا يكون مبتذلاً حتى لا تبغضه الأسماع.

**2-العرض:**

هو "عرض القضية التى يريد الخطيب إثباتها ، إذ يكشف غاية كلامه للحضور."[1] وبالتالي فهو الجزء الرئيس من الخطبة وفيه يتم عرض أفكار الخطيب للمستمعين، ومحاولة إقناعهم بها من خلال اختيار اللفظ المناسب لإيصال المعنى الذي يتلائم مع الجو العام للخطبة ومراعاة وحدة الموضوع، وذلك من خلال ربط جميع الأفكار الثانوية المتصلة بالموضوع الرئيس كأن يقول : أريد أحدثكم عن كذا... إذا كان من قضايا الساعة التى يخوض فيها المجتمع ويتطلع إلى كلام شافٍ فيها. وقد لا يُحْسَنُ التصريح به إما لأنه شائك، أو أنه يوجب انقسام الناس، وفي هذه الحالة ينبغي أن يدخل إليه الخطيب دخولاً متدرجاً ويتناوله تناولاً غير مباشر ليأخذ السامعين بتسلسل منطقي، فيصل إلى مبتغاه باعتدال وتوازن متحاشياً الإثارة والانقسام، ومن ثم يبلغ الخطيب

[1] - اليسوعى ، لويس شيخو،علم الأدب في الخطابة،ط3،ج2،مطبعة الآباء اليسوعيين1926م،بيروت ،ص96.

غايته من تهيئة النفوس إن كانت معرضة عنه وغير مقبلة إليه ، فهناك " بعض المتحدثين يعطيك كوباً فارغاً، إذ تكون ألفاظه فخمة وسبكه جيداً لكن معانيه ضعيفة، وقد يعطيك كوباً من شراب ردئ يصيبك بالخمول لركاكة أسلوبه وضعف معانيه، فإذا أنت نادم على لحظات أعرت فيه انتباهك لصوت كان من الممكن أن يكون لك لا عليك."[1]

إذاً على الخطيب أن يختار الموضوع الذى يريد التحدث فيه بعناية، وأن يجمع عنه أكبر قدر من المعلومات، وأن يلم بجميع أطرافه حتى يُحسِن شرحه أثناء إلقائه للخطبة "فبعض المتحدثين يسقيك شراباً تحس به أنك ممتلئ بتجربة إنسانية حية فيها يذوب القلب الإنساني."[2] فالخطيب الناجح هو الذى يُبين ما يريد أن يتحدث عنه أو يدعو إليه ويشرح دعوته أو وجهة نظره ويدلل عليها بأن يضمنها ما أعدَّه من الأدلة والبراهين والحجج القوية ويوضحها بضرب الأمثال والقصص ونحوها لتقريب الحقائق إلى ذهن المتلقي، ومن ثم زيادة معلوماته عن الموضوع وإقناعه واستمالته لتغير مواقفه واتجاهاته ويفند آراء مخالفيه، بنقض دعواهم. وعلى كل فإن عرض الموضوع يختلف باختلاف الخطبة، فالدينية لها أسلوب يختلف عن السياسية، وينتهج الخطيب أمام المحاكم القضائية غير ما ينتهجه في خطبته عند وداع صديق أو رثاء عزيز فلكل مقام أو موقف ما يناسبه من الخطب، فالذى يخاطب مؤتمراً علمياً ويخطب بين علماء أو مثقفين مضطر لسلوك أسلوب يختلف عن أسلوبه فيما إذا وجد نفسه أمام جمهور يجمع بين العامة والخاصة.

**3- الخاتمة:**

الخاتمة هي: "أخر ما ينتهي إلى آذان السامعين من كلام الخطيب[3]." وفيها يُجمل الخطيب خطبته، مما يلزمه بالعناية بأسلوبها ومعناها، فينبغى فيها حسن اختيار الألفاظ المعبرة وجودة التركيب ووضوح المعنى حتى يتمكن من إقناع المستمعين بما عرضه. وتكون بعد أن يفرغ

[1] - انظر عمارة ، محمود محمد محمد ،الخطابة بين النظرية والتطبيق،ط1 1418هـ-1997م،مكتبة الإيمان المنصورة،ص198.
[2] - عمارة،محمود محمد محمد ، الخطابة بين النظرية والتطبيق ،ص198.
[3] - محفوظ، على، فن الخطابة و إعداد الخطيب، ص57.

الخطيب من عرض موضوعه وسوق أدلته، وضرب أمثلته وبيان دروسه وعبره وترغيبه وترهيبه يُحسن أن يُنهى خطبته بخاتمة مناسبة تجمع أفكاره وتلخِّص موضوعه بعبارات مغايرة وطريقة مختصرة، لأن الإطالة في هذا المجال تجلب الملل وتشتت الأفكار، ولا ينبغي أن تحتوى الخاتمة على أفكار جديدة وأدلة جديدة، لأنها حينئذ لا تكون خاتمة وإنما جزءاً من الخطبة وامتداداً لها لذلك عليه أن يركز في خاتمة ولا يخرج فيها عن موضوعه" ليترك صورة واضحة عن مطلبه في ذهن السامع."[1] وتكون الخاتمة قوية في تعبيرها وتأثيرها، لأنها آخر ما يطرق سمع السامع ويبقي في ذهنه، وإذا كانت ضعيفة في تركيبها فاترة في إلقائها ذهبت فائدة الخطبة، ذلك أن من نجاح الخطيب أن يلقي خاتمة بثقة وطريقة مؤثرة ومقنعة وأن يُشعر جمهوره بأنه قد انتهى إلى رأي ومسألة لا تقبل الجدل ولا تحتمل النظر. وأهم سمة من سمات الخاتمة هي أن تكون قصيرة وموجزة وشاملة لكل جوانب الموضوع. وقد تكون الخاتمة آيات قرآنية لم يسبقها تجمع موضوعه في الترغيب أو الترهيب أو التدليل أو الإثبات، وقد تكون حديثاً نبوياً يفيد ما تفيده الآيات القرآنية

وقد تكون إعادة لعناصر الخطبة بأسلوب مغاير وبطريقة جامعة واضحة ذات تأثير قوى. والغاية من الخاتمة هي: تلخيص الموضوع لأنه الثمرة المرجوة من الخطبة، وآخر ما يطرق أُذن المستمع فلابد فيها من اجتذاب العواطف وتعميق المعاني فى الأذهان. ولا يتم ذلك إلا بالدقة والإيجاز بأهم ما تناولته الخطبة.[2]

بذلك نكون قد بينا عناصر الخطبة وهي المقدمة، والعرض أو الموضوع وأخيراً الخاتمة فالخطبة لا بد أن تكون متسلسلة منظمة، وأن تكون واضحة البيان قوية الأسلوب،فى كل أجزائها حتى تقنع المستمع وتستميله بأدلتها. وإحكام ترتيبها وإلقائها بطريقة منظمة تعين المتلقي على فهم موضوعها، ولا يتيسر له ذلك إلا بالتخطيط لها قبل إلقائها إما باختزال أفكارها في نقاط أو عبارات

[1] - الخرافى، عبدالمحسن عبد الله ، لطائف الأدب في استهلال الخطب،ص52.
[2] - أنظر محفوظ، على، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص58-59.

قصيرة تعين الخطيب على ترتيب أجزاء الخطبة وتحول دون نسيانه لجانب منها، وإما بتسجيل أفكارها في جمل كاملة.

**ثالثاً: المتلقي:**

الجمهور أو المتلقي هو الركن الثالث من أركان الخطبة، فالخطبة توجَّه إلى مجموعة من المخاطبين، إذ يعتمد الخطيب على المواجهة وإثارة العواطف أي عواطف المخاطبين، فالخطبة من وسائل الاتصال الجماعي ولذلك تصنف الخطب بحسب من يُوجَّه إليهم الخطاب وأن النص الخطابي يستمد وجوده وقيمته من التقائه بالمتلقي، وبهذا المعنى لا يكون هنالك أدب خطابي إلا من خلال المتقبل، ولا يعطى النص قيمته إلا بوصوله إلى هذا الجمهور، لذا يجب أن يكون الخطيب عالماً بهذا الجمهور الذى يخاطبه حتى يضع ثقافة الجمهور وعلمه أمامه عند تحضير خطبته، أي مراعاة مستويات الجمهور وفق مقتضي الحال و إعداد الخطبة الإعداد الصحيح المناسب، ومن ثم فعلى " الخطيب أن يعطي كلاً حقه من الفهم والذكاء ويوفيه نصيبه من البداهة وسعة الأدب."[1] والجمهور المخاطب بالخطبة قد يكون مختلف الأعمار " فينبغي على الخطيب أن يتفنن في كلامه مع كل صنف من السامعين على مقدار مبلغهم من الفهم واستعدادهم لقبول ما يريد بذره في عقولهم."[2] فالجمهور من حيث الثقافة إما يكون عامياً أو مثقفاً أو عالماً. وعند التعامل معه ينبغي على الخطيب أن يبتعد عن الكلام المعقد وإن كان فيه أدلة وبراهين، ويلجأ إلى الأقوال والأمثال السائرة في المجتمع والتى يعرفها الجمهور، ومن ثم يقتنع بها لأن العاطفة هي المحرك الأساسي لهذا الجمهور. لذا " فإن مراعاة الخطيب لأفهام الناس وعقولهم لهو من أهم ما ينبغي أن يدركه كل خطيب."[3] ولكنه أيضاً لديه عاطفة لذلك يجب على الخطيب أن يراعى البراهين والعواطف في خطبته ، ولكن دون أن يعمد إلى التكرار في سرده لخطبته، ودون عرض لوجهات

[1] - اليسوعى ، لويس شيخو ، علم الأدب في علم الخطابة ،ص51.
[2] - نفسه ، ص51-52.
[3] - الشريم ، سعود بن إبراهيم بن محمد ، الشامل في فقه الخطيب والخطبة ، د ت دار الوطن للنشر ،ص69.

الخلاف لأن هذا يؤدي إلى الملل ويعمل على إضاعة الوقت " قيل أن أحد الخطباء الوعاظ جلس يوماً للوعظ وجاريته تسمع كلامه ،فلما انصرف إليها قال لها : كيف سمعت كلامي؟ قالت : ما أحسنه إلا أنك تكثر ترداده. فقال : أردده كي يفهمه من لم يفهمه. فقالت: إلى أن يفهمه من لم يفهمه يكون قد ملّه من فهمه"[1]، وهناك أيضا المتلقي العام فهو الذى يجتمع في المؤتمرات الأدبية والعلمية ، لذلك يجب على الخطيب أن يُحكم أدلته وبراهينه وبالتالي لا يستعمل الخطاب الذى يتتبعه مع العامة. فالخطيب البارع هو الذى يخاطب الناس على قدر عقولهم بعد مراعاة لمستوياتهم المختلفة الثقافية منها والعلمية، حتى يصل لغايته المنشودة من الخطبة ألا وهي الإقناع والاستمالة.

[1] - الشريم ، سعود بن إبراهيم بن محمد ، الشامل في فقه الخطيب والخطبة ،ص69.

**المبحث الرابع :**

**الخطابة في العصر العباسي الأول:**

ارتقت الخطابة في العصر العباسي الأول بارتقاء دواعي القول، لذلك نجد أن خطب هذا العصر كثيرة ومتنوعة، وقد اشتملت على موضوعات شتى، ومردُ هذه الكثرة في الخطابة يرجع إلى طبيعة الظروف التى أُلفت في ظلها الخطب، فلونت مضامينها وحددت أشكالها. ومن هنا فإن الموضوعات التى عالجتها الخطابة في هذا العصر متعددة فكانت الخطابة الحفلية على أنواعها والخطابة الدينية على أشكالها والخطابة الحربية ثم الخطابة السياسية ذات الصلة بالظروف السياسية فى عصر بني العباس ونفصلها فيما يلى:

**أولا الخطابة الحفلية:**

وهي الخطب التى تُلقي في المواسم والمحافل بغرض" تكريم أو تأبين، أو تهنئة بنعمة خاصة أو عامة، أو في علاج مشكلة اجتماعية".[1] وهذا النوع من الخطب تتنوع موضوعاته بحسب المناسبة و المقام الذى تُلقى فيه لأنها تعبر عن الظواهر الاجتماعية وما يتعلق بأحوال المجتمع، ولا تقتصر على موضوع واحد إذ تعدد فيها المضامين تبعاً للظروف الداعية لها،وأشكالها، وهى كما يلي:

**خطب المحافل:**

تلقى هذه الخطب في مجالس الخلفاء والولاة، وقد عرفت عند القدماء "بخطب السماطين.[2] و"بخطب المقامات".[3] ولا تخلو هذه الخطب من جمال التعبير والتنسيق الناجم من الإعداد والتدبيج، فالخطباء في مثل هذا اللون من الخطب يحرصون أشد الحرص على تدبيج خطبهم

---

[1] - الحوفى ، أحمد ، فن الخطابة ، د ت ، نهضة مصر ، القاهرة ، ص84.

[2] - أنظرالجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1 ،ص 114

[3] - عبد ربه الأندلسي ، أبو عمرو أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، تحقيق: أحمد أمين و أحمد الزين، إبراهيم الأنباري ، ط2 1381هـ - 1962م ، ج2 – مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ،ص3.

وإعدادها إعداداً يجنبهم الوقوع في الزلل لأنها تقدم في" مقامات فضل، ومشاهد حفل، يُتخير لها الكلام، وتستهذب بها الألفاظ وتستجزل المعاني"[1] والأغراض التى تناولتها خطب الوفود كثيرة تنصب حول الثناء والشكر والشكاوى والاستعطاف والوصف وما إلى ذلك. ولنأخذ نموذجاً من هذه الخطب وليكن في الاستعطاف، فمن أشهر الخطب في الاستعطاف خطبة تميم بن جميل السَّدُوسي وكان تميم قد خرج على المعتصم، واجتمع إليه كثير من الأعراب فعظم أمره وزادت الفرقة بينه وبين الخليفة المعتصم، فكتب المعتصم إلى مالك بن طوق في النهوض إليه والقبض عليه. فبدد جمعه وظفر به فحمله موثقاً إلى المعتصم، فلما مثل بين يديه، دعا المعتصم بالسيف فأحضر له فجعل تميم ينظر إليه ولا يقول شيئاً. وكان وسيماً وجسيماً، ورأي المعتصم أن يستنطقه، فقال: يا تميم إن كان حُجة فأدلى بها، فقال تميم: إذا أذن لي أمير المؤمنين فإني أقول:" الحمد لله الذى أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، يا أمير المؤمنين إن الذنوب تَخرس الألسن الفصيحة، وتُعمي الأفئدة الصحيحة، ولقد عظمت الجريرة وكبر الذنب وساء الظن، ولم يتبق إلا عفوك أو انتقامك، وأرجو أن يكون أقربهما منك، وأسرعها إليك وأولاهما بإمامتك وأشبههما بخلافتك ، فتبسم المعتصم وقال : كاد والله ياتميم أن يسبق السيف العذل اذهب فقد غفرتُ لك".[2] هذه الخطبة تدل على براعة تميم وقدرته على إقناع خصمه بما أبداه من اعتذار مصحوب باستعطاف دقيق، جاء مفعماً بعاطفة متقدة ومشاعر جياشة تسعفه في عطف القلوب عليه، واستمالة النفوس إليه.

[1] - عبد ربه الأندلسي ، أبو عمرو أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، تحقيق: أحمد أمين و أحمد الزين، إبراهيم الأنباري ، ط2 1381هـ - 1962م ، ج2 – مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ،ص3.

[2] - الحلبى ، صفي الدين أبو الفتح عيسى بن البحتري ، إنس المسجون وراحة المحزون ، تحقيق : محمد أديب الجار ، ط1 1997م ، دار صادر بيروت ، ص142-143.

**خطب النكاح:**

كانت العادة عند العرب إذا أراد الرجل الزواج من امرأة أن يتقدم عنه رجل من عشيرته يُعبر عن رغبته في طلب يدها، فهو يلقى الخطبة أمام عشيرة المرأة، ومن أمثلة هذه الخطب خطبة شبيب بن شيبة المنقري حين زوج ابنه من ابنة سوار بن عبدالله القاضي، فقال: "الحمد لله، وصلى الله على رسول الله، أما بعد: فإن المعرفة منا ومنكم، بنا وبكم، تمنعنا من الإكثار، وإن فلانا ذَكَرَ فلانة"[1] فهذا النص قد جاء في غاية الإيجاز وفيه إشارة إلى، الرغبة الملحة بالزواج وقد جمعتهما معرفة بعضهما البعض مما جعل الخطيب يستغني عن الإطالة في الكلام.

**خطب التأبين:**

هذه الخطب تُلقى عادة فى المقابر أو في مجالس العزاء لمواساة ذوي الفقيد في فقدهم. والفكرة العامة فيها تصوير الفاجعة التى حلت بذوي الفقيد والإشادة بفضائله، وذكر محاسنه على أن "مجال القول في هذا الباب واسع للخطيب المقتدر الذى يتلاعب بالألفاظ والمعاني دون أن يغرق في المبالغة ، أو الإطالة في التكرار".[2]

من خطب هذا النوع خطبة عمر بن ذر بن عبد الله الهمداني حينما وقف على قبر ولده فقال مؤبناً:" يا ذر إنه قد شغلنا الحزنُ عليك، لأننا لا ندري ما قلت؟ وما قيل لك؟، اللهم إني قد وهبت له مما قصَّر فيه مما افترضته عليه من حقي، فهب له ما قصر فيه من حقك، وأجعل ثوابي عليه له وذدني من فضلك إني إليك من الراغبين ، فلما أراد أن ينصرف قال: ياذر قد انصرفنا عنك وتركناك، ولو أقمنا ما نفعناك".[3] فهذا النص يحمل في طياته آلاماً و أحزاناً نزلت بوالد الفقيد الذي صاغ أفكاره وأحاسيسه عبر هذه الكلمات الموجزة الرقيقة يودع بها ثمرة فؤاده الذي فارقه بلا عودة

[1] - صفوت ، أحمد زكى ، جمهرت خطب العرب ، ج3 ، ط1 ، 1352هـ - 1930م ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ،ص346 .
[2] - فياض ، نيقولا ، الخطابة ، عنيت بنشره دار الهلال – مصر، 1930م ،ص110.
[3]- المبرد،أبو العباس محمد بن يزيد ، التعازي والمراثي،تع:محمد الديباجى، مطبعة زيد بن ثابت القاهرة 1396-1976م،ص66.

وترك في نفسه أعمق الأثر، وأنه ليس سوى احتساب ولده عند الله لينال به أجر الصابر الذي هدَّه المصاب بفقده.

**ثانياً: الخطابة الدينية:**

للخطابة الدينية أثر كبير في حياة المسلمين، فمن خلالها يستطيع الخطيب أن يوجه الناس إلى تقوى الله وطاعته وحُبه وخشيته، بما يغمر قلوبهم ومشاعرهم، إنها صادرة من قلب مفعم بالصدق والإيمان والإخلاص. والخطابة الدينية هي" تلك التى شرع الإسلام لها وقتاً معلوماً في يوم الجمعة والعيدين، وفرض الاستماع لها، وكانت الأداة المعبرة في المناسبات الدينية، وفي كل أمر جامع"[1]

ويجد الخطيب في هذا اللون متنفساً في إثارة عواطف السامعين، وترغيبهم في الخير وتنفيرهم من الشّر فهي " تصلهم بالخالق – سبحانه وتعالي– وتعلو بهم إلى السماء، وتبصرهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة، فالخطيب يتكلم من قبل الله، والموضوع ديني وروحي، وثمرة الخطبة سعادة الفرد والمجتمع وتمجيد الله وطاعته ، وابتغاء الخير". [2]

تقوم الفكرة العامة في هذا اللون من الخطابة على الوعظ والتذكير، وغيرها من المعاني التى تسهم في إبراز الصورة التى يريد الخطيب أن يعرضها على الناس ويقوم بتوضيحها لهم، ولا شك أن الوعظ والتذكير له أثره الواضح ومكانته الكبيرة في حياة المسلمين، فهو من دعائم الإسلام لأنه من خلال الوعظ يتم توضيح العبادات والأحكام وتفصيل الحلال والحرام، وتفقيه المسلمين وتعليمهم حقائق دينهم، لهذا نجد الخطيب في الخطابة الدينية يلجأ إلى وعظ الناس وإرشادهم من فتن الدنيا والانسياق وراء ملذاتها، كما يلجأ إلى التذكير بالموت واليوم الآخر، وما ينتظر الإنسان من ثواب

[1] - عيسى،عبد الرحمن ،أدب الخطابة الدينية في الدعوة الإسلامية ،ط1-1416هـ-1995م، دار الإيمان- بيروت،ص23.
[2] - فياض ، نيقولا ، الخطابة، ص 128 .

وعقاب. تناولت الخطابة الدينية في العصر العباسي الأول العديد من الموضوعات، نذكر منها أنواع الخطابة الدينية الرئيسة وهي:

1. خطبة الجمعة. 2. خطبة العيدين. 3. خطب الاستسقاء.

**خطبة صلاة الجمعة:**

هذه الخطبة تنوب عن نصف الفرض، وتحل محل ركعتين في صلاة ظهر يوم الجمعة ولها "مقام عظيم، وخطر جليل، وهي ركن من أركان الحق، وشعيرة من شعائر الهدي، ومنبر للتوجيه والإصلاح". [1] ومن أمثلة خطب صلاة الجمعة في العصر العباسي، خطبة الخليفة المأمون التي استهلها بالتحميد والتمجيد، ثم انتقل إلى الحث على التقوى، والعمل الصالح، إذ ليس للإنسان سبيل ينجو به إلاَّ طاعة الله.فقال:" أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله وحده، والعمل لما عنده والتنجيز لوعده، والخوف لوعيده، فإنه لا يسلم إلاّ من اتقاه، وعمل له و أرضاه " [2]

نلاحظ أن المأمون في هذا المقطع من الخطبة يوصي بالتمسك بتقوى الله واتباع أوامره واجتناب نواهيه، لأن تقوى الله خير زاد يتقرب به العبد إلي ربه، ثم بعد ذلك نجده ينتقل إلى الحديث عن الدنيا ومتاعها الزائل، وما ينزل على أهلها من المكروهات والمحذورات، والتذكير بالموت، فيقول: "فاتقوا الله عباد الله، وبادروا آجالكم بأعمالكم، ابتاعوا ما بقي بما يزول عنكم ويغني وترحَّلوا عن الدنيا فقد جدّ بكم، واستعدوا للموت فقد أضلكم، وكونوا كقوم صيح فيهم فانتبهوا وعلموا أن الدنيا ليس لهم بدار فاستبدلوا، فإن الله – عزّ وجلّ– لم يخلقكم عبثاً، ولم يترككم سدى وما بين أحدكم وما بين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به، وإن غاية تنقصها اللحظة ، وتهدمها

[1] - عيسى، عبد الرحمن، أدب الخطابة الدينية في الدعوة الإسلامية، ص128.
[2] - عبد ربه الأندلسي ، أبو عمرو أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، ج4 ، ص104.

الساعة الواحدة لجديرةٌ بقصر المدة، وإن غائباً يحدوه الجديدان الليل والنهار لجديرٌ بسرعة الأوبة وإن قادماً يحَل بالفوز أو بالشقوة لا فضل العدة، فاتقى عبد ربَّه ، ونصح نفسه....".[1]

نلاحظ من هذا الجزء من الخطبة أن هناك تنفيراً من الدنيا ومتاعها لعدم بقائه، والتحذير من فتنتها ،وعدم الوثوق بها، لقصر مدتها، وقلة متاعها، وسرعة تقلبها بأهلها، الذين يعيشون فيها وأن دنيا نهايتها الموت يجدر بالمرء أن يزهد فيها، غير أن النفس أمَّارة بالسوء تدفع صاحبها إلي اتباع الهوى وطلب اللذات.

**خطبة صلاة العيدين:**

خطب الأعياد لا تكاد تختلف في مضمونها عن خطبة صلاة يوم الجمعة، فالفكرة فيها حول الوعظ والتذكير والحث على طاعة الله وخشيته ، واجتناب معاصيه، ومن خطب هذا اللون خطبة المأمون في عيد الأضحى، قال:" إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله، وأوجب تشريفه وعظم حرمته ووفق له من خلقه صفوته، وابتلى فيه خليله، وفدى فيه بالذبح العظيم نبيه وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر..."[2] ويسترسل المأمون في ذكر فضائل هذا العيد، الذي شرفه الله وعظَّم حرمته، وينتهي بالخطبة إلى ذكر الموت، فيقول:" وما من بعده إلا الجنة أو النار، عظم قدر الدارين، وارتفع جزاء العملين، وطالت مدة الفريقين، الله الله، فوالله إنه الجدُّ لا اللعب، والحق لا الكذب ، وما هو إلا الموت والبعث والميزان والحساب...". [3]

**خطب الاستسقاء :**

هذا النوع من الخطب يكون عند انقطاع الغيث وحلول الجدب، ولا يجد الناس سبيلاً سوى الخروج إلى صلاة الاستسقاء، والتضرع إلي الله عزَّ وجل، ومن أمثالها خطبة للإمام على بن موسى الرّضا، وقد خرج ومعه الناس إلى صلاة الاستسقاء بعد انقطاع الغيث، فقال : بعد أن حمد

[1] - عبد ربه الأندلسي ، أبو عمرو أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، ج4 ، ص104.
[2] - العقد الفريد ، ج4 ،ص105.
[3] - العقد الفريد ، ج 4 ، ص 105 .

الله و أثني عليه " اللهم يا رب ! أنت عظَّمت البيت فتوسلوا بنا كما أمرت، وأملوا فضلك ورحمتك وتوقعوا إحسانك ونعمتك، فأسقهم سقيا نافعاً عاماً، غير رائثٍ ولا ضائر، ليكن ابتداء مطرهم بعد انصرافهم من مشهدهم هذا، إلى منازلهم ومقارهم". [1]

في هذه الخطبة يظهر الإمام تضرعه لله، واستغاثته به، فهو القادر على كل شيء، راجياً منه عزَّ وجلَّ أن لا يخيب أمله، ولا يقطع رجاءه، فهو من أهل بيت جعلهم الله للناس رحمة، ووسيلة للتقرب بهم لما لهم عند الله من عظيم وجليل المنزلة.

**ثالثاً: الخطب الحربية:**

وهي خطب يرتجالها أو يعدها ويقدمها القادة على مسامع الجند في ميادين القتال، لإثارة حماسهم وبث روح العزيمة بما يبعث في نفوسهم من استعداد يدفعهم إلى لقاء العدو، وعلى الرغم من كثرة الحروب التى شهدها العصرالعباسى الأول إلا أن خطب هذا اللون قليلة جداً، وهذا ما لاحظه الباحث في الكتاب الذي ألفه أحمد زكى صفوت وجمع فيه خطب العصر العباسي الأول ومن أمثلة الخطب الحربية ، خطبة طاهر بن الحسين" التى ألقاها إبان الحرب التى نشبت بين الأمين والمأمون سنة 195هـ، وكان طاهر بن الحسين قائداً لجيش المأمون في تلك الحرب "[2] فبعد أن عبأ طاهر كتائبه وجهزَّ جنده وساوى صفوفهم ، وأصبح يمرُّ عليهم وهو يقول:

" يا أولياء الله و أهل الوفاء والشكر، أنكم لستم كهؤلاء الذين ترون من أهل النكث والغدر، إن هؤلاء ضيعوا ما حفظتم وصغَّروا ما عظمتم، ونكثوا الإيمان التى دعيتم، وإنما يطلبون الباطل ويقاتلون على الغدر والجهل، أصحاب سلب ونهب فلو غضضتم الأبصار، وأثبتم الإقدام قدأنجز الله

[1] - القمى ، أبو جعفر محمد بن على الحسين بن بابويه ، عيون ، عيون أخبار الرضا ، ج1 ، مؤسسة الأعلمى بيروت ، 1404هـ - 1984م ، ص79.

[2] - أنظر جمهرة خطب العرب ، ج3 ، ص101 وما بعدها

وعده، وفتح عليكم أبواب عزّه ونصره، فجادلوا طواغيت الفتنة و يعاسيب النار عن دينكم وادفعوا بحقكم باطلهم، فإنما هي ساعة واحدة ، حتى يحكم الله بينكم وهو خيرُ الحاكمين". [1]

بهذه الكلمات التى تلهب الحماس، وتثير العواطف استطاع طاهر ابن الحسين أن يحث جنده على القتال، ويرغبهم فيه، ويهون عليهم الأعداء الذين وصفهم بالنكث والغدر والجهل، وإنهم قطاع طرق لا يألون جهداً في استلاب ما بأيدي الناس، وفي هذا يجد سبب لقتالهم والقضاء عليهم. وعند إمعان النظر فى خطبة طاهر يأخذنا العجب!!! فأعداؤه مسلمون مثله، وقائدهم اخو قائده لأبيه والدافع للحرب كرسي الخلافة، ومراد المأمون _ بغض النظر عن كفاءته واستعداده_ هو خلاف ما أوصى به والده الرشيد.

**رابعاً: الخطب السياسية:**

ازدهرت الخطابة في بدايات العصر العباسي ازدهاراً كبيراً بتأثير الأحداث السياسية، واشتداد الأزمات وتتابعها، ولا ريب أن هذه الأحداث قد أزكت جذوة الخطابة السياسية، وكان لا بد لها أن تزدهر ويتعاظم شأنها ويتسع نطاقها.فقد انتزع العباسيون الخلافة من بني أمية بحد السيف، وقد أدركوا أن استيلاءهم على السلطة بالقوة يعني أن الأمور لن تستتب، ولن تسير على وفق ما يريدون، مادام هناك من يعارض حكمهم، ويرى الخلفاء العباسيون أن الله اصطفاهم للخلافة دون سواهم، وأن وصولهم إلى كراسي الحكم إنما هو ثمرة سيوفهم التى قاتلوا بها أعدائهم من الأمويين على نحو ما يتضح في خطبة أبي العباس السفاح حين بايعه الناس على الخلافة، حيث تحدث عن الخلافة عن حقهم الشرعي فى الخلافة التى أخذها بنو أُمية منهم قال:"ثم وثب بنو حرب ومروان فابتذها وتداولوها بينهم، فجاروا فيها، واستأثروا بها، وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حيناً حتى آسفوه فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا، وردَّ علينا حقنا، وتدارك بنا أُمتنا، وولى نصرنا، والقيام بأمرنا،

1- مسكويه ، أبو على أحمد بن محمد يعقوب مسكويه ، تجارب الأمم وتاقب الهمم ،تع :سيد كسروي ،ج3،ط1424،1هـ- 2003م،دار الكتب العلمية بيروت ،ص301.

يمُنَّ بنا على الذين استضعفوا في الأرض، وختم بنا كما فتح ، وإني لأرجو ألاَّ يأتيكم الجور من حيث أتاكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله...". [1]

تحدث السفاح في هذه الخطبة عن جور بني أمية في الحكم، والظلم الذي ألحقوه بالناس حين كانوا حُكاماً عليهم. وتحدث أيضاً عن أحقية العباسين بالخلافة دون الأمويين لأنهم من آل بيت رسول الله ﷺ. لجأ العباسيون في دعم موقفهم السياسي وإثبات حقهم الشرعي في الخلافة بما يوجب لهم الطاعة من الرعية، و يضمن لهم عدم الخروج عليهم، لجأوا إلى فكرة الحق الإلهي التى تمنح الخليفة العباسي الحق في ممارسة السلطة المطلقة. وهذا ما نجده واضحاً على لسان أبي جعفر المنصور، حين نصَّب نفسه سلطان الله في أرضه وحجته على خلقه، وأنه يسوس الناس بتوفيق الله وتأييده ، وأنه الحارس الأمين على خزائنه إلي غير ذلك من الصلاحيات التى خوَّلته إياها هذه الفكرة من التصرف في شئون الخلق، حين قال هذه الخطبة بمكة :" أيها الناس، إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه، وتسديده وتأييده، وحارسه على ماله، أعمل ما فيه بمشيئته و إرادته وأعطيه بإذنه، فقد جعلني الله عليه قفلاً إذا شاء أن يفتحني فتحني لإعطائكم وقسَّم أرزاقكم وإذا شاء أن يقفلني عليها قفلني، فارغبوا إلى الله وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعلمكم به في كتابه ، إذ يقول:(... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً...)"[2] أن يوفقني للرشاد والصواب ، وأن يلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم..."[3]

وإذا كان العباسيون قد وجدوا في الخطابة خير وسيلة للرد على خصومهم الذين يتربصون بهم ليقتلوهم، فإن خصومهم من الشيعة والأمويين والخوارج اتخذوا معولاً هداماً وإبطال ما إدعوه ولاسيما العلويين الذين كثيراً ما كانوا يعتدون عليهم لقرابتهم من رسول الله ﷺ وأنهم أهل بيته وأخصُّ به، ومثال ذلك خطبة محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية حيث قال فيها:" أيها الناس،

[1] - البغدادي ، أبوعلى إسماعيل بن القاسم الغالي، ذيل الأمالي والنوادر ،دار الكتب العلمية - بيروت 1423هـ - 2002م ، ص120 .
[2] - سورة المائده ، 3
[3] - العقد الفريد ، ج4 ، ص 99

إنه قد كان من أمر هذا الطاغية أبي جعفر من بنائه القبة الخضراء التى كان بناها معاندة لله فى ملكه، وتصغيره الكعبة الحرام، وإنما أخذ الله فرعون حتى قال: أنا ربكم الأعلى وإن أحق الناس بالقيام في هذا الدين: أبناء المهاجرين الأولين، والأنصار المواسين.اللهم إنهم قد أحلوا حرامك وحرَّموا حلالك ، وعملوا بغير كتابك وغيروا عهد نبيك ﷺ. وآمنوا من أخفت ، وأخافوا من أمَّنت،فاحصهم عدداً وأقتلهم بدداً، ولا تبقي على الأرض منهم أحداً".[1] في هذه الخطبة يرى محمد بن عبد الله العلوي، أنَّ أبا جعفر المنصور العباسي من المكابرين الذين يعاندون الله ببنائه للقبة الخضراء، كما شبههُ بفرعون واعتبر أن العباسيين استأثروا بالخلافة مع أن المهاجرين والأنصار أحقَّ بها منهم، ثم بين انحرافهم عن العمل بالكتاب والسنة ودعا عليهم. وسعى العباسيون إلى مطاردة خصومهم بالسيف والكلمة، لأنهم كانوا يسعون إلى توطيد ملكهم بكل ما أتوا من قوة، لذلك نجدهم في خطبهم يلجأون إلي إيراد الصور المثيرة بقصد التهويل على المستمعين لهم، ويظهر هذا جلياً في خطبة أبي جعفر المنصور، وكان قد بلغه أن أقواماً أصبحوا يشتكون من بني العباس فقال:" مهلاً مهلاً، روايا الأرجاف، وكهوف النفاق عن الخوض فيما كفيتم، والتخطي إلى ما حُذرتم، قبل أن تتلف نفوس، ويقل عدد، ويذلَّ عبد عز، وما أنتم وذاك، ألم تجدوا ما وعدكم ربكم من إيراث المستضعفين من مشارق الأرض ومغاربها، حقاً الحجر الحجر، ولكن خبِّ كامن، وحسد مكمد".[2]

فهذه الخطبة رغم قصرها يغلب عليها طابع التهديد والتخويف الذي يسمعه الخصوم فيزرع في نفوسهم الخوف، كما ترسم سياسة الدولة التي تقوم على القهر والبطش، والتسلط، ومصادرة الحريات، وتكميم الأفواه. وعلى نهج هذه الخطبة كانت له خطبة أخرى، منها خطبته الناس بعد قتل

[1] - جمهرة خطب العرب ، ج3 ، ص38.
[2] - العقد الفريد ، ج4 ، ص98.

الأمويين، وقد أخذ بسيفه وقال: " يا أيها الناس إن بكم داء هذا دواؤه، وأنا زعيمٌ لكم بشفائه فليعتبر عبد قبل أن يعتبر به، فإنما بعد الوعيد الإيقاع وإنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بكتاب الله".[1]

فى هذا الجزء من الخطة يغلب جانب التهديد وتهويل الوعيد، وقد بدت الدماء تظهر أمام أعين السامعين من خلال ما اشتملت عليه هذه الخطبة من الألفاظ والمعاني الدالة على البطش والقسوة فهو قد زرع الرعب فيهم حتى لا يفكروا في الخروج عليه. ومثلها خطبة أخرى لداوود بن على*[2] سار فيها على النهج نفسه حيث قال :" أيها الناس، حتّام يهتف بكم صريخكم، أما آن لراقدكم أن يهُبَّ من نومه، كلاَّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون،أغركم الإمهال حتى حسبتموه الإهمال هيهات منكم ، وكيف بكم والسوط في كفي والسيف مشتهر".[3]

استخدم داوود بن على في هذه الخطبة كلمات تدل على الاستبداد والقهر، وهما صفة من صفات التسلط السياسي الذى مارسه العباسيون على الناس من أجل إرساء دعائم الحكم، فالخطبة غايتها القسوة والبطش دون أن يكون لها غاية أخرى.

وأيضاً من خطب هذا اللون خطبة صالح بن على التى يقول فيها:"يا أعضاد النفاق، وعُبد الضلالة، أغرَّكم لين أساسي، وطول إيناسي؟ حتى ظن جاهلكم أن ذلكم لفلول حَدِّ، وفتور جِدِّ، وخور قناةٍ كذبت الظنون، إنها العترة بعضها من بعض، فإذ قد استوليتم العافية، فعندي فطام وفكاك، وسيف يقدُّ الهامَ". [4]

---

[1] - عيون الأخبار ، ج2،ص274.

[2]- داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب: أمير من العباسيين، وهو عم السفاح، كان خطيبا فصيحا من كبار القائمين بالثورة على بني أمية، ولاه السفاح إمارة الكوفة ثم إمارة المدينة ومكة واليمن والطائف، وأقام بالمدينة، وتوفي فيها سنة 133 هـ. أنظر العلوي، أمين الدولة محمد بن محمد بن هبة الله، المجموع اللفيف، ط1، 1425 هـ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت

[3] - العقد الفريد ،ج4، ص 124- و ما بعدها.

[4] - صفوت، أحمد زكى ، جمهرة خطب العرب ، ص18وما بعدها.

من هذه الخطبة تتضح كيف كانت مصادرة الحريات للناس وتكميم أفواههم ، لشدة بطش العباسيين بالناس مما يدل على أن استخدام القوة والتسلط هى أبرز سمات الدولة العباسية في بداية عهدها لغرس الرعب في نفس كل من يفكر في الخروج عليهم.

**أسباب قوة الخطابة في العصر العباسي الأول**

الخطابة في العصر العباسي الأول ازدهرت وتطورت وشابهت في علوها وازدهارها الدولة الأموية وذلك للأتي:

1- "كثرة الفتن والثورات دفعت بالخلفاء وغيرهم من رجال الدولة العباسية لكثرة مخاطبة الناس حفاظا على دولتهم وحثا للناس على تأيدهم واحتجاجا على مخالفيهم.

2- اشتهر خلفاء الدولة العباسية بالفصاحة وقوة الحجة خاصة في بداية عهد دولتهم.

3-كانت جمهرة الأمة في صدر الدولة ممن يقيمها القول البليغ ويقعدها، يفقهون مرامي العبارات ومرامي الكلام. [1]

4- كثرة المذاهب الإسلامية وحاجة كل مذهب إلى التأييد وشرح مبادئه.

5- ظهور أجيال جديدة من المثقفين و أبناء الأمم المستعربة، الذين جمعوا إلى الثقافة العربية فنوناً جديدة من ثقافات آبائهم الفرس، والهنود واليونان.[2]

6- أن القرآن الكريم بتراكيبه العالية و أساليبه المتينة التى أعجزت بلغاءهم وخطباءهم وأخذت بمجامع قلوبهم قد أكسبتهم ملكة من البلاغة في انتقاء المعاني وتخير الأساليب السامية.

7- إن الإسلام بما هذَّب من أخلاق البشرية وألان من جفاء طباعها وعدَّل من شيمهم، أدخل على نفوس العباسين من الرقة على عواطفهم ما رقَّ به كلامهم.

[1] - أنظر أبو زهرة، الخطابة أصولها وتاريخها في أزهر عصورها، ص271 وما بعدها.
[2] - أنظر ضيف، أحمد شوقي، الفن ومذاهبه في النثر، ط10، د ت، دار المعارف، مصر، ص23 وما بعدها.

8-الاختلاط بالشعوب من خلال الفتوحات الإسلامية وفرّ الأسباب الداعية لإزدهار الخطابة فى العصر العباسى الأول .[1]

[1] - أنظر محفوظ ، على، فن الخطابة وإعداد الخطيب، د ت ، دار الاعتصام ، ص25وما بعدها.

# الفصل الثانـي

# وسائل البيان فى الخطابة

## المبحث الأول: علم البيان

## المبحث الثانى: وسائل وأساليب البيان

## المبحـث الثالـث: التحليـل البيـاني فـى الخطـب السياسية في العصر العباسي الأول

**الفصل الثاني**

**المبحث الأول:**

**علم البيان**

البيان لغة، هو الظهور والوضوح والكشف ، فقد جاء في لسان العرب :" بان الشيء بياناً اتضح ، فهو بيِّن، وأبنته أنا، أي وضحته، واستبان الشيء ظهر، واستبنته أنا عَرَّفته والتبيين الإيضاح".[1] وجاء في معجم مقاييس اللغة أن البيان "من بان الشيء وأبان، إذا اتضح وانكشف وفلان أبين من فلان، أي أوضح كلاماً منه".[2]

**البيان اصطلاحاً :**

البيان فى الاصطلاح هو" اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان فى ذلك الموضع."[3] وأيضاً البيان"هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك من الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه"[4] والدلالة على المعنى لا تنحصر في القول فقط، بل تكون بخمسة طرق هي:

1. اللفظ.

2- الإشارة.

3- العقد: وهو ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين، ويقال له حساب اليد.

---

[1]- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، وزارة الشئون الإسلامية، مادة "بين".
[2] -ابن فارس ،أبو الحسن أحمد بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، دار الفكر مادة "بين".
[3] - الجاحظ، البيان والتبيين ، ج1 ، ص82
[4] -السكاكى،أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر ، مفتاح العلوم ،ط2 1407هـ - 1987م ضبط نعيم زرزور ،دار الكتب العلمية ،ص162.

4- الخط: ولذلك قالوا: القلم أحد اللسانين، والخط يبقي ويصل إلى من لا يصل إليه الكلام.

5- النصية: وهي الحال الناطقة بغير لفظ، والمشيرة بغير اليد.[1]

**مباحث علم البيان**

**أولاً: التشبيه**

**في اللغة** :" الشين والباء والهاء أصل يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً.

يقال شِبْه و شَبَه وشَبِيْه. والشَّبه من الجوهر الذى يشبه الذهب. والمشبهات من الأمور المشكلات واشتبه الأمران إذا أشكلا"[2].

وفي الاصطلاح التشبيه هو:"صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه كلية لكان إياه"[3] على هذا فالتشبيه هو أن تعمل على عقد مماثلة بين شيئين أو أكثر بقصد إشراكهما في صفة واحدة أو أكثر.

وأركان التشبيه عند علماء البلاغة أربعة هي:

1- المشبه 2- المشبه به 3- الأداة 4- وجه الشبه[4]

**بلاغة التشبيه:**

للتشبيه روعة وجمال، وموقع حسن في البلاغة العربية، وذلك لإخراجه الخفىّ إلي الجلي وإدنائه البعيد من القريب، قال أبو هلال العسكري " التشبيه يزيد المعني وضوحاً ويكسبه تأكيداً ولهذا أطبق جميع المتكلمين من العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه."[5]

---

[1] ـ أنظر الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1، ص76.

[2] ـ معجم مقاييس اللغة ، مادة "شبّه".

[3] ـ ابن رشيق ،أبو الحسن على ابن رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر،ط2 ،1981م ، تحقيق: محمد محي الدين ،ج1، دار الجيل ،ص286

[4] ـانظر علوان ، شعبان ، نعمان ششعبان ، من بلاغة القرآن ، ط5 ،1981م ، الدار العربيه للتوزيع والنشر ، القاهرة، ص149 وما بعدها

[5] ـ العسكري ،أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ، الصناعتين ، ط1 1317هـ-1952م ،تحقيق:على محمد البجاوي،محمد أبو الفضل ،دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ص243.

وللتشبيه قدرة على التأثير وجمال التصوير، والإبداع في الكلام وهو يستمد قوته فى ذلك من تراكيبه المتميزة وصياغاته المؤثرة في النصوص، لأنه أسلوب تصويري ذا قيمة فنية وتأثيريه ولغة تنطق بخوالج النفس وتتمثل العواطف والمواقف الذاتية، فى صياغة أدبية عالية النسيج والإبداع." فإن كان التشبيه مدحاً ظهر في معانيه النبل وحرَّك العواطف، وإن كان ذماً كان تأثيره ألذع ووقعه أشد على النفس، وإن كان وعظاً كان أشفى للصدور لأنه يدعو العقل للتفكير والتأمل.[1] ومن أساليب البيان أنك إذا أردت إثبات صفة لموصوف، مع التوضيح أو وجه من المبالغة، عمدت إلى شيء آخر، تكون هذه الصفة واضحة فيه، وعقدت بين الاثنين مماثلة، تجعلها وسيلة لتوضيح الصفة، أو المبالغة في إثباتها. لهذا فإن التشبيه هو أول طريقة تدل عليها الطبيعة لبيان المعني.

نستنتج مما سبق أن بلاغة التشبيه تنشأ من أنه ينتقل بك من الشيء نفسه، إلى شيء طريف يشبهه أو صورة بارعة تمثله، وكلما كان هذا الانتقال بعيداً، قليل الخطور بالبال، أو ممتزجا بقليل أو كثير من الخيال، كان التشبيه أروع للنفس و أدعى إلى إعجابها.

**ثانياً: الكناية**

**الكناية لغة:**" أن تتكلم بشيء وتريد غيره، وكنيَّ عن الأمر بغيره، ويُكنيّ كنايةً، وتكنىَّ تَسَتَّر".[2]

**الكناية اصطلاحاً**

قال ابن الأثير " حد الكناية الجامع لها هو أنها كل لفظة دلت على معني يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز"[3] وبذلك هى " ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك".[4]

---

[1] ـأنظر الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن ، أسرار البلاغة ،ط1 1442هـ 2001م تجقيق: عبد الله هنداوى ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان،85 ص وما بعدها.

[2]ـ لسان العرب، مادة (كنى).

[3] ـ ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محي الدين، د ت، ج2، المكتبة العصرية، ص182.

[4] ـ السكاكي ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر ، مفتاح العلوم ، ط2 1407هـ -1987م ، ضبطه نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ،ص170.

**وأقسامها ثلاثة وهي:**

1- كناية عن صفة 2- كناية عن موصوف

3- كناية نسبة" [1]

**بلاغة الكناية:**

الكناية من الصور البيانية البديعة التى حفل بها كلام العرب، لأنها تنطوى على الجدة والطرافة واللطافة الأدبية " والكناية من ألوان التعبير الفريدة من نوعها، ولا يصل إلى سبر أغوارها والغوص إلى أعماقها، إلا من تملك حساً مرهفاً، وطبعاً لطيفاً، وذهناً متوقداً، وقريحة صافية"[2]

والكناية في التعابير الأدبية برزت معالمها واضحة دقيقة في التصوير مما منحها قوة في التعبير والإقناع، لأن الكناية تقدم بالدليل والبرهان، ومعلوم لدينا أن الشيء إذا ذكر مصحوباً بالدليل والحجة كان أوضح في النفوس وأوكد، وهى صيغة فنية مؤثرة، وميزة بلاغة القول يأتي بها نسق الكناية أكثر من غيرها من الألوان البيانية، فالقارئ "يعلم إذا رجع إلى نفسه، إن إثبات الصفة بإثبات دليلها وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، آكد و أبلغ في الدعوى من أن تجئ إليها فتثبتها هكذا ساذجاً غفلاً، وذلك أنك لا تدعى شاهد الصفة، ودليلها إلاّ والأمر ظاهر معروف" [3]، إذاً فالكناية هي اللون البلاغي المشتمل على الجمال الفني التصويري و الإبداع الأسلوبي في عرض المعني الصريح، الذى يجمع في تركيبه بين الحقيقة والخيال، قال ابن الأثير وقد أجمع العلماء على أن المجاز والكناية أبلغ من التصريح والحقيقة، لأن الانتقال من المجاز يكون من الملزوم إلى اللازم، فهو كدعوى الشيء ببينة، وفى هذا الشأن يقول عبد القاهر الجرجاني" قد أجمع الجميع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح".[4] وأخيراً لا بد أن نشير إلي أن العرب استخدمت الكناية توسعاً

[1] - أبو المجد، أحمد السيد، الواضح في البلاغة، ط1 1431هـ - 2010م، دار جرير للنشر والتوزيع، ص80 وما بعدها
[2] -أنظر عتيق ، عبد العزيز ، علم البيان ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،1405هـ - 1985م ،ص223.
[3] -الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، د ت ، علق عليه محمود شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ص72.
[4] - الجرجاني ، دلائل الإعجاز ،ص50.

في الألفاظ واستكثاراً للمعاني، ولأنها تؤدي إلى التنوع في الأساليب، وتعمل على تزيين التعبير ومن فضائلها أنها تجسد المعقول بما هو محسوس، لذلك فلا نجد أديباً بارعاً ولا ناظماً مبدعاً إلا وقد نسج في أسلوبها وتفنن في صياغتها، فجاء بها نظمه مثار الإعجاب ومعانيه و أغراضه بالغة التأثير.

**ثالثاً: المجاز**

**لغة** :" من جِزت الطريق، وجَازَ الموضعُ جوازاً، وجاز به وجاوزه وأجاز غيره، وجازه: سار فيه وسلكه، وجاوزت الموضوع جوازاً بمعنى جِزته، والمجازة الموضع".[1]

**واصطلاحاً المجاز** هو: "هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالاً في الغير، بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع."[2]

**ماهية المجاز :**

الكلام في اللغة العربية على قسمين: حقيقة ومجاز، فالحقيقة هي كل لفظ استعمل في معناه الأصلي حيث قال ابن جني " الحقيقة ما أقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة".[3]

وعرَّفها أحمد مطلوب بقوله " الحقيقة هي دلالة اللفظ على المعنى الموضوع له في أصل اللغة"[4] ومن هنا يتضح جلياً أن كل مجاز له حقيقة، لأن المجاز قسيم الحقيقة ولولا الحقيقة لما كان هنالك مجاز، يقول ابن الأثير :" لأنه لا يصح أن يطلق عليه اسم المجاز إلا لنقله عن حقيقة موضوعه وإذا كان كل مجاز له حقيقة، فليس معنى ذلك أن كل حقيقة يجب أن يكون لها مجاز"[5].

وعليه فالمجاز هو استعمال الكلمة في معني آخر غير الذى وضعت له في أصل اللغة لعلاقة بين المعنيين مع وجود قرينة تمنع من إرادة المعني الحقيقي.

---

[1] ـ لسان العرب " مادة جوز "
[2] ـ السكاكى ، مفتاح العلوم ، ص153.
[3] ـ بن جني، الخصائص، طبع 1955م، تح: محمد على النجار، ج2، دار الكتب المصرية، ص442.
[4] ـ مطلوب، أحمد، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها،ط3، 1403هـ ، ج1 ، المجمع العلمي العراقي ،145.
[5] ـ ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ج2، ص175.

**قسما المجاز:**

ينقسم المجاز إلى قسمين:

1. المجاز العقلي

2. المجاز اللغوي والمجاز العقلي هو"أن نسبة الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له، العلاقة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعني الحقيقي".[1] والمجاز اللغوي يكون في نقل الألفاظ عن حقائقها اللغوية إلى معانٍ أخرى بينها صلة ومناسبة. والمجاز اللغوي على قسمين:

1- مجاز مرسل، وهذا تكون فيه العلاقة بين المعنى الحقيقى والمجازى: "السببية، المسببية الكلية الجزئية، اعتبار ما كان، اعتبار ما يكون...." أو غيرها لكنها لا تكون المشابهة.

2- مجاز تكون العلاقة فيه بين المعني الحقيق والمعني المجازي المشابهة وهي الاستعارة.

**بلاغة المجاز**

المجاز من الأساليب البلاغية القديمة فى اللغة استعمله العرب فى الشعر والنثر ، للعرب ولوع بالمجاز جعله غالباً على تعابيرهم و تأليفهم، واستعملت العرب المجاز من أجل ميلهم إلى الاتساع في الكلام ، وكثرة معاني الألفاظ ليكثر الالتذاذ بها.[2]

والعرب فى استعمالهم للمجاز أبدعوا فى الأتيان بالمعانى الدقيقة والألفاظ الرقيقة، فأصابوا أغراضهم بدقة وأفادوا من تراثهم البيانى وزينوا خطبهم وأشعارهم بالمجاز[3] لقيمته الفنية والتعبيرية، وقدرته على عرض المعنى في نسق خيالي وأسلوب جمالي بديع، يقع من النفس موقعاً تأثيرياً، فيوافيك بجليل المعاني، وعظيم الصفات، في أيسر لفظ، وأوجز قول، بسيط التركيب وبعيد عن التكلف والتعقيد.

---

[1] - علوان ، محمد شعبان ، نعمان شعبان ، من بلاغة القرآن ، ط2 1998م ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، ص199.

[2] - أنظر ابن القيم ، شمس الدين أبو عبد الله محمد،الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ط2 1327هـ صححه محمد بدر الدين النعساني ، مطبعة السعادة مصر ،ص 10.

[3] - أنظرابن القيم، الفوائد المشوق إلي علوم القرآن وعلم البيان، ص10.

والصياغة المجازية تضع بين يدي الأديب معجماً ضخماً من الأساليب البيانية، والتعبيرية الفصيحة والمؤثرة، فتفتح له آفاق التجديد، والتفنن في التعبير الفني، والتأليف بما يتناسب مع أغراضه الشعرية، وغاياته التعبيرية في براعة فنية، وقوة بيانية وتصويرية. ولعل من أهم أسباب جمال المجاز في الكلام أن تتضمن ألفاظه معاني لم تعهد، وتأتي لتعبر عن أفكار قد لا يفصح عنها اللفظ في أصل استعماله، وهنا تكمن بلاغة التعبير الأدبي في العربية " وذلك بأن يختلج في صدر السامع المعني الأصلي عند اختطاف اللفظ، ثم ينصرف بالقرينة إلى غيره، ويجد أقرب الأشياء إليه ملابسة المعني بالقرينة ."[1] فالملابسة تعين على الفهم وتصحح الاستعمال والقرينة أيضا تُعين على الفهم وبذلك تكون عيَّنت المعنى المراد. مما سبق يتضح أن العرب أولت المجاز عناية خاصة وكاد يطبع كل أعمالهم الإبداعية، مما زان تعابيرهم الشعرية منها والنثرية، فغدا ركناً مهماً في العملية الإبداعية والجمالية وهو سمة من سمات الإبداع، وعلامة من علامات التفوق الشعري والأدبي.

**رابعاً: الاستعارة**

لغة: مأخوذة من العارية أي نقل الشيء من شخص إلى شخص آخر حتى تصبح تلك العارية من خصائص المعار إليه، واستعار الشيء استعارهُ منه: طلب منه أن يعيره إياه."[2]

**الاستعارة اصطلاحاً:**

" هي اللفظ المستعمل في غير ما وضِع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي للكلمة، والمعنى الذى نقلت إليه الكلمة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. "[3]

**أركان الاستعارة**

"1- المستعار منه: وهو المشبه به 2- المستعار له: وهو المشبه

[1] ـ عتيق، عبد العزيز، علم البيان، ص 145
[2] ـ لسان العرب، مادة" عرا".
[3] ـ الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان، د ت تح: يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ـبيروت ، لبنان، ص439.

3- والمستعار :وهو اللفظ المنقول 4- قرينة الاستعارة "[1] وهي الأمر الذي ينصبه المتكلم دليلاً على أنه أراد باللفظ غير معناه الحقيقي، والقرينة نوعان إما لفظية أو غير لفظية فاللفظية هي ما دُل عليها بلفظ يُذكر في الكلام ليصرفه عن معناه الحقيقي، ويوجهه إلى معناه المجازي المراد على أن يكون من ملائمات المشبه به في الاستعارة التصريحية ومن ملائمات المشبه في الاستعارة المكنية.

أما غير اللفظية فهي التى دُل عليها بأمر خارج عن اللفظ، وهذا النوع من القرينة يسمي قرينة حالية لأنها أمر عقلي لا يُدل عليه بلفظ من الكلام ،بل يُدل عليه بالحال.

**بلاغة الاستعارة:**

الاستعاره هى التى يُكتفى فيها بذكر الاسم المستعار عن الأصل، فهى تنقل العبارة وتجعلها فى مكان غيرها. هدفها إظهار الشبه، ومناسبة المستعار له للمستعار منه من خلال امتزاج اللفظ بالمعنى، حتى لاتوجد بينها منافرة؛ فالاستعارة هى أحد أعمدة الكلام، يُعول عليها فى التوسع والتصرف فى الكلام، وبها يتم تزين الألفاظ وتحسين المنظوم والمنثور. وفى بلاغة الاستعاره يقول عبدالقاهر الجرجاني عنها"هي أمدُّ ميداناً، وأشدُّ افتتاناً، وأكثر جرياناً، وأعجب حسناً، وأوسعُ سعة وأبعدُ غوراً، وأذهبُ نجداً في الصناعة وغَوْراً، من أن تجمع شعبها وشعوبها، وتحصر فنونها وضروبها."[2] هذا قول تلوح منه فرائد بلاغة الاستعارة، وسر إبداع أدائها في الكلام، فما تضمنته صياغاتها المتميزة، ونسجها الفني حري بأن تكون بسببه فى قمة الجمال البياني، اللفظي والمعنوي فهي ضرب من المجاز اللغوي في الكلام، والخيال الفني في التعبير والتصوير، ففي الاستعارة تكون للموجودات هيئات مختلفة، وللأشياء أوصاف متغيرة ومتجددة ،فتتجسد المعنويات، وتتشخص الجمادات، فيفصح الأعجم ويتحرك الساكن والجامد، وتصل بالمعني والغرض إلى خفايا تضاعيف

[1] - عتيق، عبد العزيز، علم البيان، ص179.
[2] - الجرجاني، أسرار البلاغة ،ص42.

النفس وتفصل في بيانها، وتأتي على أتم جهة في وصفها وعرضها، فتتلاشي المفارقات ويبرز للوجود والنظر والفكر كون مختلف برسمه وأوصافه ومادته سبيل تكوينه ومكانه خيال الشاعر ونفسه، ومراده، فتكون عندئذ " في حقيقتها ضرب من الإدراك الروحي والرؤية القلبية لهذه الأشياء."[1]

وصور الاستعارة تحمل أسرار البيان العقلي والنفسي المؤثر، والبليغ في النسق التعبيري لما لها من أثر في النفوس، أكثر من الحقائق البارزة، وتمثل الاستعارة على الصور البيانية في البيان العربي، لأنها " تفعل في نفس السامع ما لا تفعله الحقيقة"[2] فهي فن من أفانين القول غاية في الرقة والجمال والجلال، لأنها توصل المتلقي إلي الغرض في تصوير رائع بارع، وإيجاز في اللفظ، وتأثير في النفوس.

**أهمية علم البيان :**

للبيان منزلة عظمي في سماء البلاغة العربية، لمنطقه الفصيح المعرب عما فى الضمير، ولما يمتاز به هذا العلم من إيراد المعني بطرق مختلفة، فيمد علم البيان المتكلم بشتى فنون التعبير الجميل عن المعني القائم في نفسه، ومن ثم يتخير منها ما يشاء في إظهار مقاصده ومعانيه، من تشبيه ومجاز وكناية واستعارة، وهذه سمة يمتاز بها عن سائر علوم البلاغة . وقد نوَّه البلاغيون العرب القدامى بأهمية البيان، وميزوه على غيره من علوم البلاغة، حتى قال بعضهم :" ثم إنك لا ترى علماً هو أرسخُ أصلاً و أبسق فرعاً ... من البيان ... الذى لولا تحفِّيه بالعلوم، وعنايته بها وتصويره إياها، لم تظهر الحقيقة، وأصبحت مستورة ومخفية عن الإدراك، وذلك لأن الهدف من البيان هو الكشف عن المعنى حتى تدركه النفوس من غير تعقيد."[3]

---

[1] ـ أبو موسى، محمد، دراسة تحليلية لمسائل البيان، ط3،1413هـ ، مكتبة وهبة ،ص186.
[2] ـ عطوى ، دقيق خليل ، صناعة الكتابة علم البيان ، علم المعاني ، ط1-1989م ، دار العلم للملايين ، بيروت،ص43.
[3] ـ أنظر الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص5 وما بعدها

فالبيان يُعد العمود الفقري لعلوم الأدب العربي، وفنون اللغة العربية. والبيان أو دراسة الفن الأدبى ينبغي أن تُساير كل نشاط فكري، لأثره البعيد في اللغة العربية، إذ هو يشرح محاسنها وصنوف التعبير بها، ويُجلِّي أساليبها المختلفة، وفضل التعبير بكل أسلوب منها، ويُفسِّر الملامح الجمالية التى تبدو في قصيدة الشاعر أو خطبة الخطيب أو رسالة الكاتب أو مقالة المتكلم

**المبحث الثاني:**

**وسائل لأساليب البيان**

اللغة وسيلة لنقل الأفكار والمعاني التى يترجمها الفرد برموز لغوية في مواقفه وسلوكه وتحمل بين حروفها دلالات تختلف طبقاً لمقصد المتكلم، فهي أداة التواصل بين المتكلم والمستمع، ونتاج الفكر ووسيلة التوصيل، فاللغة والفكر لا ينفصل أحدهما عن الآخر. "ويرى الباحثون أن العلاقة بين الفكر واللغة "وثيقة تصل إلى درجة الارتباط العضوي عند العديد من الباحثين، فإذا كان الفكر محطة النشاط العقلي في تفاعله مع الكون المحيط به من ناحية، ومع المذخور التجريدي الموجود في الذاكرة من ناحية ثانية، فإن التجسيد الحسي لهذا الفكر يتمثل في اللغة."[1] مما يعني أن هناك علاقة وثيقة بينهما مهدت السبيل لمفهوم التواصل اللغوي الذى يتطلب مهارة في استعمال أساليب التركيب المنتظم في المفردات التى تُعبر عن المعاني المقصودة من وراء الخطاب. ولا يأتي التواصل بين المتكلم والمستمع إلا بما يُعد أرقى أنواع التواصل وهو لغة الخطاب، والتى لا بد أن تكون لغة فصيحة وبليغة ومبينة يصل بها الخطيب إلى المعني الذى يقصده " لأن الفصاحة هي تمام آلة البيان وهي مقصورة على اللفظ ؛لأن الآلة تتعلق باللفظ ، والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى."[2]

ولا بد أن نشير إلى أن الألفاظ تمتلك طاقات تعبيرية لها تأثيراتها البالغة على المتلقي. وتنظيم تلك الألفاظ في تراكيب متنوعة تختلف تبعاً لقصد الخطيب و أسلوبه في الخطاب الذى يتميز به عن غيره، لأن الأسلوب هو فن يحتاج إلى براعة، والتأثير في النفوس ينبع من رشاقة الأسلوب وجمال العبارة وقدرة مبدعها على التأثير والإقناع، ولا يتم هذا إلا بتخيَّر الألفاظ والعبارات

[1] - الحازمي ، خالد بن حامد ، الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية ، ط1 -1424هـ ، الناشر ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ص 492.

[2] - العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ، الصناعتين ، تح البجاوي ، على محمد ، إبراهيم ، محمد أبو الفضل ، المكتبة العصرية ، بيروت 1419هـ ، ص

الجزلة واستعمال أقدرها على التعبير، ولا يخفى ما للغة وأسلوب الخطيب من أثر في نفوس المستمعين له " باعتبار أن وظيفة النظام اللغوي تبليغ أغراض المتكلم للسامع "[1].

وتبعاً لذلك تتباين أساليب الخطابة، فلكل موقف خطاب خاص به ولكل مقام مقاله، ولذلك لا بد من معرفة أنواع الأساليب الخطابية، وسنشرع في تفصيل ذلك .

**الأسلوب:**

الأسلوب لغة:" الطريق، ويقال سلكت أسلوب فلان في كذا، طريقته ومذهبه، وطريقة الكاتب في كتابته. وفى الفن يقال أخذنا في أساليب من القول فنون متنوعة."[2]

**وفي الاصطلاح:** يُعرف الأسلوب بأنه " طريقة تأليف الألفاظ للتعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتأثير."[3]

إذاً فالأسلوب هو الطريقة التى يسلكها المتكلم أو الخطيب للتعبير عن الغرض المقصود من الكلام.

**أنواع الأساليب :**

هناك ثلاثة أنواع من الأساليب، هذه الأساليب تختلف باختلاف المتكلمين من ناثرين وناظمين وهي:

1- الأسلوب العلمي.

2- الأسلوب الأدبي.

3- الأسلوب الخطابي.[4]

---

[1] - الخفاجي ، بان ، مراعاة المخاطب في النحو العربي ، ط1 ، 2008م ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ص15.
[2] - ابن منظور ، لسان العرب ، "مادة سلب "
[3] - خفاجي ، محمد عبد المنعم ، وآخرون ، الأسلوبية والبيان العربي ، ط1 ، 1412هـ - 1992م ، الدار المصرية ، ص42
[4] - انظرقاسم ، محمد أحمد ، أديب ، محي الدين ، علوم البلاغة البيان والبديع والمعاني ، ط1 2003م ، المؤسسة الحديثة للكاتب ، طرابلس لبنان ، ص39 وما بعدها.

**أولاً: الأسلوب العلمي**

الأسلوب العلمي هو الذى يُستخدم وسيلة لنشر العلوم والمعارف، فهو يعمل على تغذية العقول، ولا تطغي فيه شخصية المتحدث الخطيب. والأسلوب العلمي هو " أهدأ الأساليب وأكثرها احتياجاً إلى المنطق السليم والفكر المستقيم و أبعده عن الخيال الشعري. لأنه يخاطب العقل ويناجي الفكر. ويشرح الحقائق العلمية التى لا تخلو من غموض وخفاء."[1] بصورة مبسطة حتى لا تسعصي على المستمع في فهمها، فجمال الأسلوب العلمى يكمن فى دقة عباراته، وسلامة الذوق في اختيار كلماته، وحسن تقريبه المعنى للأفهام من أقرب وجوه الكلام، فيجب أن يُعني فيه باختيار الألفاظ الواضحة الصريحة في معناها ولا تحمل الكلمة أكثر من معنى لأن هذا يخالف الدقة المطلوبة في الأسلوب العلمي، وأن تؤلف هذه الألفاظ في سهولة ووضوح حتى تكون موضحة ومُبينة للمعنى المقصود، حتى لا تصبح مثاراً للظنون، ومجالاً والتأويل "ويُحسن التنحي عن المجاز فى الأسلوب إلا ما يجيء من ذلك عفو الخاطر، من غير أن يمس أصلاً من أصوله أو ميزة ميزاته، أما التشبيه الذى يقصد به تقريب الحقائق إلى الأفهام وتوضيحها بذكر أمثالها، فهو في هذا الأسلوب حسن مقبول."[2]

**نوعا الأسلوب العلمي**

1- أسلوب علمي بحت : وهو الذى يعنى بعرض الحقائق العلمية دون انصراف إلى جمال اللفظ أو أناقة التعبير.

2- أسلوب علمي متأدب: [3] وهو الذى يضع الحقائق العلمية في عبارات لا تخلو من أناقة في اختيار ألفاظها.

---

[1] ـ الجارم ، علي ،امين، مصطفي ، البلاغة الواضحة ، د ت ، دار المعارف ، ص 12 وما بعدها

[2] ـ انظر الهاشمي ، احمد بن إبراهيم بن مصطفي ، جواهر البلاغة فى المعاني والبيان والبديع ، د ت ، تح:الصميلي ، يوسف ، المكتبة العصرية ـ بيروت ، ص 44

[3] ـ انظر ، أدهم ، محمد ، فنون التحرير الصحفى بين النظرية والأسلوب ، د ت ، مكتبة الأنجلو مصر ، ص244.

**الأسلوب الأدبي :**

هو" الأسلوب الجميل ذو الخيال الرائع والتصوير الدقيق ، الذى يُظهر المعنوي في صورة المحسوس والمحسوس في صورة المعنوي."[1]

للأسلوب الأدبي نسق ونظام معين يصطفى فيه الكاتب أو الشاعر الفاظاً معينة لما يجده بها من الجمال ويرى فيها عناصر البهاء والرونق. و لغتنا العربية فائقة القدرة فى هذا لأنها، تزخر بالألفاظ والعبارات التى تمكن الأديب من أن يختار من بينها ما يشاء، ويصوغها بالطريقة التى يريد ليعبر عن أدق المعاني وأصدق المشاعر. ويستطيع الأديب أن يتصرف في بناء العبارة ونظمها بأن يختار ألفاظها وينظمها بالشكل الذى يراه مناسباً، ساعياً من وراء ذلك إلى إكساب كلامه طاقة فنية غنية بالمشاعر والدلالات قادرة على التأثير في وجدان المتلقي بأن يختار من الألفاظ أوقعها على النفس وأقربها إلى القلب عن طريق استخدام بعض الصور البيانية والموسيقى اللفظية أو الأخيلة الأدبية، وذلك لأن الأسلوب الأدبي يعد " الجمال أبرز صفاته، وأظهر مميزاته ومنشأ جماله، لما فيه من خيال رائع، وتصوير دقيق، وتلمُّس لوجوه الشبه البعيدة بين الأشياء."[2] وصياغته تعتمد على الطبع والتمرس بالكلام البليغ وهو يعتمد على الفردية لأن لكل شخص أسلوبه الخاص به، وعموميته تأتي من أنه موجَّه إلى الجماعة." ولا يتشكل الأسلوب الأدبي إلا من خلال المواقف الشعورية التى يعيشها الأديب ويتأثر بها"[3] وقيمة الفكر في الأدب ترتبط بالحالة النفسية التى دعت الأديب إلى قول ما يريده من أفكار وما يُعبر عنه من عواطف، وإذا احتوى العمل الأدبي على الجمال اتصف بالنبل والسمو.

[1] - قاسم ، محمد أحمد ، البديع والبيان والمعاني ، ص40.
[2] - قاسم ، محمد أحمد ، البديع والبيان والمعاني ، ص40.
[3] - الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة ، دار الفكر بيروت 1978م ، ص43.

**عناصر الأسلوب الأدبي:**

1- الأفكار.

2- الصور.

3- إيقاع العبارات."[1] فالأفكار هى حقائق يستخدمها الأديب فى مقاله أو كتابه أو خطابه، والصور هى المعانى التى يريد أن يوصلها إلى المتلقين، وايقاع العبارات المقصود منه أن تأتى الألفاظ منسقة على نحو معيَّن، لآداء المعنى الشعورى الذى ينتاب الأديب.

واستعمال الأسلوب الأدبي في العصور العربية القديمة فيرى ناصر الدين الأسد، أن كل الكتب التى أُلفت في الشعر والنثر والنحو واللغة والتاريخ، كانت تنتهج الأسلوب الأدبي في كتابتها، حتى في الكتب التى أُلفت لغرض التعليم والتثقيف وحدهما ، بل يلجؤون إلى الاستطراد والتنويع والتنقل من باب إلى باب ومن موضوع إلى موضوع ثم يعودون إلى ما بدأوا به، وقال إنهم بذلك يجمعون بين التعليم والتسلية وبين التثقيف والإمتاع. [2] وهذا يدل على أنهم يمزجون بين الأسلوبين في كتاباتهم سواء كانت هذه الكتابات أدبية أو علمية بحتة. ونجد أن الأسلوب الأدبي الصرف غير مستساغ أبداً فى كتابة التاريخ لأنه " قد يُحرِّف الحقائق عن مسارها الدقيق، بما يطرحه من ألفاظ عامة أو حاملة لصفة المبالغة أو منحرفة وراء الخيال فالكتابة التاريخية فن لا يمتلك ناصيتة جميع المؤرخين إنها كتابة بعيدة عن الإطناب الممل والاختصار المخل، بعيدة عن المبالغات أو التعصبات"[3].

[1] ـ الشايب، أحمد ، ألأسلوب ، ط12، 2003 ، دار صادر بيروت ، ص 99

[2] - انظر الأسد ، ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلي ، ط7 ، 1988م ، مكتبة النهضة المصرية، ص52.

[3] - دويدري ، رجاء وحيد ، البحث العلمي أساسيات النظرية وممارسته العلمية ، ط1 ، 1421هـ - 2000م ، دار الفكر المعاصر بيروت ، ص 177.

نجد إن الجمال أبرز صفات الأسلوب الأدبي، إلا أن الاهتمام بجمال الألفاظ وزخرفها مشين في مجال البحث التاريخي، فعلى الكاتب أن يكون صادقاً و أميناً في سرد الأحداث التاريخية و تكون بلغة واضحة تتجلى فيها الحقائق.

**الأسلوب الخطابي :**

هو" الأسلوب الذى يمتاز بقوة المعاني والألفاظ ورصانة الحجج، كما يمتاز بالجمال والوضوح وكثرة المترادفات والتكرار."[1]، فهو فن يهدف إلى الإقناع والتأثير.

والغاية التى يسعى إليها كل خطيب من خلال أسلوبه هي أن يكاشف مستمعيه بما يزخر في ذهنه من معانٍ، يُفترض أن المستمعين بحاجة إلى إدراكها، وعلى وجه يناسبهم بغاية الارتياح. وما من سبيل إلى بلوغ هذه الغاية إلاّ قوة البيان وجمال الأسلوب ، فالخطيب الأريب لا تقتصر مهمته على عرض أفكاره مجرد عرض، بل أن مهمته ترتفع من هذا الحد إلى المستوى الذى يؤثر به البيان والبلاغة في النفوس، وللبيان آفاق تكاد أبعادها تستعصي على التحديد، فالبيان هو رسالة الخطيب التى لأجلها يعتلى المنبر وهو خلاصة خبرته، وثمرة اطلاعه وقراءته، وهو دليل عقله والمترجم عن فكرته، ولذلك على الخطيب أن يختار ألفاظه بعناية، لأن " الألفاظ بمنزلة الثياب من الأبدان فالوجه الصبيح يزداد حسنا بالحلل الفاخرة والملابس البهية، والقبيح يزول عنه بعض القبح..."[2] وينبغي أن يكون اللفظ من الألفاظ من الألفاظ السهلة الواضحة التى يمكن للناس فهمها واستيعابها "وضرورة أن يبتعد عن الألفاظ الوحشية الغريبة، والألفاظ المتنافرة. يقول الأبشيهى "ومن المستحسن في الألفاظ تباعد مخارج الحروف ، فإذا كانت بعيدة المخارج جاءت الحروف متمكنة في مواضعها غير قلقة ولا مكدوده"[3] لأن تقارب المخارج يحدث ثقلاً في النطق، فحرى بالخطيب أن يبتعد عن مثل هذا التنافر اللفظي الذى يجعل وضع الكلام ثقيلاً على الأذن، بل ونطقه على

[1] - قاسم ، محمد أحمد ، علوم البلاغة ، البليغ والبيان والمعاني ، ص41.
[2] - انظر القلشندي ، أبو العباس أحمد ، صحيح الأعشى ، ج2 ، ط2 1928م ، دار الكتب المصرية ، ص 2 وما بعدها
[3] - أبو زهرة ، الخطابة أصولها وتاريخها ، ص124.

اللسان عسيراً. وأحياناً قد تكون الكلمة من اللغة العربية التى كانت شائعة عند العرب ولكنها غير شائعة عند الجماعة التى يخاطبها الخطيب، لهذا تستهجن مخاطبتهم بها، لأن الخطبة للتأثير فيهم وإثارة الوجدان لا يكون إلا بما هو مفهوم مأنوس للسامع، فعلى الخطيب أن يراعي في أسلوبه انتقاء ألفاظ الخطبة من غير أن يستعمل الألفاظ الغريبة، حتى لا يبعد عن المفهوم المألوف فيقول بشر بن المعتمر: "فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك أن تفهم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ المتوسطة التى لا تلطف على الدهماء ولا تجفو عن الأكفاء فأنت البليغ التام."[1] فاسلوب الخطيب وقوته البيانية تنُمُّ عن شخصيتة الخطيب ولذلك فإن من واجب من يتصدر لمهمة الخطابة أن يعتني بهذا الجانب ، حتى لا يشوه بسوء أسلوبه ما يقدمه من معلومات وما يطرحه من أفكار، فقوة الخطيب البيانية أيضا تساعده على اختيار الألفاظ المناسبة التى تدل على المعاني التى يريد أن يوصلها الخطيب إلى مستمعيه. وتزود الخطيب بأكبر زاد لغوي هو الضمان لاقتداره على تحديد المعاني بدقة وعلى تصريف الكلام في كل مجال بدون عائق. والأسلوب ركيزة هامة في نجاح الموقف الخطابي، لأن الأذن تسمع وتترجم المعاني ويؤثر فيها الأسلوب تأثيراً كبيراً، والخطيب الفصيح يمكنه أن يسحر الأفئدة بقوة فكره، وحسن إلقائه ، وعذوبة كلامه، وسهولة عرضه، ووضوح فكرته، وهو لا يصل إلى الأذهان إلا عن طريق الآذن ، وحسن البيان وجمال الأسلوب عند الخطيب ، دليل على نجاحه في خطبته ، وهو مِنّة من الله سبحانه و تعالى قال عزّ من قائل : الرَّحْمَنُ﴿1﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴿2﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ﴿3﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴿4﴾"[2].

[1] - الأشبهي ، شهاب الدين محمد بن أحمد ،المستطرف كل فن مستظرف ، ط1 1419هـ ، عالم الكتب بيروت ، ص51.
[2] - سورة الرحمن ، الآيات من 1-4.

والأسلوب الخطابي هو" طريقة التفكير والتصوير والتعبير."[1] وأداء المعاني وعرض الأفكار التى تتضمنها الخطبة. ولا بد أن نشير إلى أن الخطابة لا تعرف شكلاً واحداً من الأساليب، وإنما يختلف أسلوبها تبعاً لتنوع الجمهور المتلقي وطبيعة الموضوع المقدم، لذلك فالخطابة في الصفوة من المثقفين ذات أسلوب رفيع وبلاغة عالية، وطريقة في العرض خاصة، وفي العوام لها أسلوب سهل والخطابة فى الجمهور العام الذى يجمع المتعلمين والعوام يحرص فيها الخطيب على الممازجة بين الأمرين. ليرضى أذواقهم ويسيطر على عواطفهم، لذلك ينبغي على الخطيب" أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يُقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[2] لذلك ينبغي أن تكون معاني الخطبة مفهومة للجمهور واضحة جلية يبينها الخطيب بحيث تدركها الأفهام بلا عناء، حتى يحدث الإقناع والاقتناع لأنه لازمة من لوازم الخطابة بل غرضها الأساسي الذى تدور حوله وتسعى له عن طريق قوة المعنى والألفاظ وقوة الحجة والبرهان.

من كل ما ذكرناه نجد أن روعة الأساليب الخطابية، فى ميادينها تلك تتجلى فى البيان؛ وتتجلى أهميته البيان، فى أن إجادة قوانينه وإبداع مهاراته وفهمها؛ تقتضى توفر وسائل تعين الخطيب على تعلم الفصاحة والبلاغة وهى:

1ـ مخالطة الفصحاء والبلغاء ومعايشتهم والسماع منهم وتأتي بحضوره وندواتهم ومحاضراتهم ومحاورتهم.

2ـ سماع أقوال البلغاء والخطباء كل حين ومحاولة جعلها عادة . والتمعن والتأمل في إيرادهم للألفاظ والجمل وسبكهم للمعاني وبسطهم للمعنى وإقامتهم للحجة واستعمالهم للدليل .

[1] - الشايب ، أحمد ، الأسلوب ، ط12 2003م ، مكتبة النهضة المصرية ، ص45.
[2] - الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج1 ، ص131.

3ـ قراءة أشعار العرب وحكمهم ومعرفة مفردات اللغة ومعانيها والإكثار من الحكم والأمثال والأشعار المفيدة في ذلك .

4. قراءة كتب الأدب والتعمق فيها.

5. حفظ القرآن الكريم فهم معانيه، فهو المعجزة البلاغية التي أعجزت الفصحاء والبلغاء وما زالت إلى يوم الدين.

6. حفظ أحاديث الرسول ﷺ، فهو أفصح العرب وأبيهم وأفضلهم حديثا.

7. دراسة علم النحو والصرف والتمكن من الإعراب حتى يسلم اللسان من الخطأ.

8. التعود على الإلقاء والكتابة ومواجهة الجماهير وسماع النقد والاستفادة منه.[1] وحاصل القول أن الفصاحة والبلاغة لا تكون إلا لمن سلك سبلها واصطبر عليها يوماً فيوماً، وراض عليها لسانه في المنتديات العامة والجمع والأعياد ونحو ذلك، ولو راعه الموقف أولاً أمنه آخراً.

[1] ـ أنظر،ابن الأثير، ضياء الدين نصر الله بن محمد : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر،د ت،ج1،تح ،أحمد الحوفي، بدوي طبانة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة، ص41

**المبحث الثالث:**

**التحليل البياني في الخطب السياسية في العصر العباسي الأول:**

سندرس بعض الخطب السياسية في العصر العباسي الأول، محددين الوسائل البيانية والتي استخدمها العباسيون في خطبهم السياسية من أجل إقناع الناس بأحقيتهم في الخلافة وإثبات أن الأمويين قد انتزعوا ماليس لهم، وقد تعددت الوسائل البيانية التى لجأ لها الساسة لتحقيق مآربهم وكان من أهمها :

1.الاستدلال بالقرآن الكريم.

2.أخذ معاني القرآن وألفاظه .

3.الاستشهاد بالشعر .

4.التصوير البياني.

**أولاً : الاستشهاد بالقرآن الكريم.**

عُرف فى الخطابة العربية استشهاد الخطيب بالنصوص البليغة، ومن ثم كانت خطب العصر الإسلامى تستشهد بالآيات القرآنية ، إذ هو من الأمور المستحسنة لدى العرب في خطبهم ، وفي هذا العصر يقول الجاحظ : "وكانوا يستحسنون أن يكون يوم الحفل، وفي الكلام يوم الجمع، آي من القرآن، فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرقة وحسن الموقع " [1]. وقد أكثر الخطباء السياسيون في العصر العباسي الأول من الاستشهاد بالقرآن الكريم باعتبار أنه طاقة إقناعية بيانية مستمدة من الله، والقران الكريم هو نبع البلاغة و معين الفصاحة. وقد ظهرت مهارة الخطباء السياسين في العصر العباسي الأول فى دقة انتقائهم ووضع ما استشهدوا به من الآيات في موضعها الملائم، وسياقاتها المناسبة، فجاء انتقاؤهم لها على حسب الموضوعات التي تناولوها

[1] _ الجاحظ ،البيان والتبيين ، ج1 ، ص80 .

ومن ذلك استشهاد أبي العباس السفاح بعدد من الآيات القرآنية وقد بويع بالخلافة، حيث قال:" الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تكرمة، وشرفه وعظمه، واختاره لنا وأيده بنا ... ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع، وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتابا يتلى عليهم، فقال عز من قائل فيما أنزل من محكم القرآن "[1] : "﴿ إنما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾"[2] ، وقوله تعالى :"﴿ قل لا أسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى﴾"[3]، وقوله سبحانه : "﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾"[4]، وقال جل ذكره : "﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾"[5]، وكذلك قوله تعالى : "﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾"[6] إذا نظرنا لتلك الآيات الكريمة وتأملناها، والتي استشهد بها الخليفة أبو العباس السفاح نجد أنها تدور حول مضوعين أساسيين هما :

1. قرابة بنى العباس لرسول الله ﷺ وتميزهم من غيرهم بنصوص القرآن مما يوجب حقهم فى خلافته ﷺ.

2.إن العباسين هم الورثة الحقيقيون له ﷺ. ولنا أن نتأمل حال المستمعين وهم يستمعون إلى هذا الحشد من الآيات القرآنية التى استشهد بها وأدرجها ببراعة واقتدار فبينت أحقية العباسيين بالخلافة. وإرث النبي ﷺ مما سيكون من شأنه أن يدفع بهم للإقناع بما قاله. وكان من أكثر الآيات التي استشهد بها بنو العباس من القرآن الكريم وأنصارهم، هي قوله تعالى: "﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾"[7]. وكما استدل خلفاء بني العباس من القرآن الكريم ما يدعم بسلطتهم على حد زعمهم، فقد استشهد خصومهم ما يفند حججهم ويدعم موقفهم المناوئ

[1] صفوت ، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ج3، ص7
[2] - سورة الأحزاب 33 .
[3] - سورة الشورى 23 .
[4] - سورة الشعراء 214 .
[5] - سورة الحشر 7 .
[6] - سورة الأنفال41 .
[7] - سورة الأحزاب الآية 33 .

لسلطة العباسيين فهذاء محمد بن عبد الله ( النفس الزكية) . المعارض العلوي الخطير لبني العباس يستدل في خطبته حين خرج على الخليفة المنصور قوله تعالى على لسان فرعون "أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى"[1] ، حيث قال:" أَمَّا بَعْدُ أيها الناس، فإنه كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر ما لم يخف عليكم، من بنائه القبة الخضراء التي بناها معاندا لله في ملكه، وتصغيرا للكعبة الحرام، وإنما أخذ الله فرعون حين قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى﴾ وإن أحق الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين."[2]

نجد أن النفس الزكيه وضح لأنصاره فى هذه الخطبة ما كان من أمر بني جعفر المنصور عند بنائه القبة الخضراء بقصره ببغداد والتي ما بناها إلا معاندة لله في ملكة، وكذلك تصغيرا منه للكعبة الحرام عل حدِ زعمه . يستوي في هذا الصنيع مع فرعون الذي ادعى الربوبية المطلقة. ويستدل عبد الله بن طاهر، ناصر العباسيين، وأحد القادة المشهوريين في عهد الخليفة المأمون في خطبته عندما أرسل لقتال حمزة بن كرك الخارجي قائلاً لجنده: "إنكم فئة الله المجاهدون عن حقه، الذابُّون عن دينه، والذائدون عن محارمه... امضوا قُدُمًا على بصائركم، فارغين إلى ذكر الله، والاستعانة به كما أمركم الله، فإنه يقول"[3]: ويستشهد بقول الله تعالى"﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾"[4] إذ الثبات في ساحة القتال والصبر عند ملاقاة الاعداء وذكر الله تعالى، هي خير معين للجندي المسلم في مثل هذه المواقف العصيبة .

**ثانيا: اقتباس وتضمين معانى القرآن وألفاظه فى نص الخطبة:**

كان هناك نوع آخر من الوسائل البيانية خلاف الاستشهاد بالقرآن الكريم التي استخدمها العباسيون في خطبهم السياسية، وهي أن يستمد الخطيب السياسي من معاني القرآن وألفاظه يجريه

[1] ـ سورة النازعات الآية24 .
[2] ـ الطبري ، أبوجعفر محمد بن جرير ، تاريخ الأمم والملوك ، تح ، محمد أبو الفضل ،1983م ،ج7 ، دار المعارف ،ص558
[3] ـ ابن عبدربه ، أحمد بن محمد ، العقد الفريد ، 1419هـ ـ 1988م ، تح ، محمد عبد القادر شاهين، ج4 ، المكتبة العصرية ص183.
[4] ـ سورة الأنفال الآية 45.

على لسانه فى معرض حديثه ويضمنه خطبته، فتنجذب إليها نفوس مستمعيه زيادة في التأثير والإقناع، وقد أكثر الخطباء في خطبهم السياسيه في العصر العباسي الأول من استخدام هذا النوع فظهر كوسائل بيانية عند الخليفة أبي العباس السفاح في أول خطبه له وقد بويع بالخلافة حيث يقول "والزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق الناس بها وأهلها " [1]، وهى معاني والفاظ مأخوذه من قوله تعالى: "﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا. ﴾"[2] وقوله في الخطبة ذاتها " وخصنا برحم رسول الله ﷺ وقرابته، وأنشأنا من آبائه وانبتنا من شجرته، واشتقنا من نبعته، وجعلنا من أنفسنا عزيزاً عليه ما عنتنا، حريصاً علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم ..."[3]. وهذه الكلمات مأخوذه من قوله تعالى:" ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾"[4].

ويقتبس أبو جعفر المنصور في إحدى خطبه بعد بناء بغداد من معانى القرآن والفاظه لإقناع مستمعيه والتأثير فيهم إذ يقول : " الحمد لله الذي أفلح حجته ، وبعداً للقوم الظالمين، الذين اتخذوا الكعبة عرضاً، والفي إرثاً، وجعلوا القرآن "عضين"[5]، لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزؤون فكم ترى من بئر معطلة وقصر مشيد، أمهلهم الله حتى بدلوا السنة، واضطهدوا العترة، وعندوا واعتدوا وخاب كل جبار عنيد، ثم أخذهم فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا "[6]. فقوله (وبعدا للقوم الظالمين ) مأخوذ من قوله جل شأنه "﴿ وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ"[7] وقوله الثانى (وجعلوا القران

---

[1] ـ صفوت ،أحمد زكي ، جمهرة خطب العرب ،ج3، ص1 ومابعدها.
[2] ـ سورة الفتح ، الاية 26
[3] ـ نفسه ،ص 2 وما بعدها .
[4] ـ سورة التوبة الاية128
[5] ـ وصفوا القرآن بأكاذيب وأكثروا البهت عليه بما ليس فيه
[6] ـ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج8 ، ص91 .
[7] ـ سورة هود الاية 44

عضين﴾ فهو مأخوذ من قول الله تعالى:" الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ."[1] وايضا قوله (لقد حاق بهم ما كانوا به يستهزؤون) فهو من قوله تعالى:" ﴿ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ. ﴾"[2] وجاء قوله (فكم تري من بئرٍ معطلة وقصر مشيد) من قوله تعالى:"﴿ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ. ﴾"[3] أما قوله الأخير (ثم أخذهم فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) فهو من قوله سبحانه "﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا. ﴾"[4] ففى هذه الخطبة توظيف للمعانى والألفاظ معا نلاحظهما من خلال الأيات القرآنية التى أخذ منها المنصور، مما يدل على فصاحته وقدرته البيانيه الكبيرة، على توظيف الألفاظ والمعانى القرآنية ، خاصة وأن الأيات التى اقتبسها من سور متفرقة من القرآن الكريم.

وكذلك داؤد بن على يقول في إحدى خطبه مهاجما بني أمية ضمَّنها من ألفاظ القرآن ومعانيه حيث قال:" فأتاهم بأس الله بياتاً وهم نائمون، فأصبحوا أحاديث، ومزقوا كل ممزق فبعدا للقوم الظالمين "[5]. هناك ثلاثة مواضع استفاد منها داؤد بن على من القران الكريم الأولى فى قوله (فأتاهم بأس الله بياتاً وهم نائمون) وهو من قوله تعالى"﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ. ﴾"[6] والمرة الثانية فى قوله ( فأصبحوا أحاديث ومُزِّقو كل ممزق) وهو مأخوذ من قوله سبحانه "﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾"[7] أما المرة الثالثة فقوله (وبعدا للقوم الظالمين.) فهو من قول الحق تعالى:" ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾"[8]. ولداؤد اقتباس آخر

---

[1] ـ سورة الحجر الاية91
[2] ـ سورة النحل الاية 33
[3] ـ سورة الحج الايه42
[4] ـ سورة مريم الاية 98
[5] ـ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج7 ، ص427 .
[6] ـ سورة الأعراف الاية 97
[7] ـ سورة سبأ الأية 19
[8] ـ سورة المؤمنين الأية41

مأخوذ من معاني القرآن جدير بنا أن نقف عنده ، فقد بلغه أن أقواماً أظهروا شكاة بني العباس يقول منها:" ألم تجدوا ما وعدكم ربكم حقا من إيراث المستضعفين مشارق الأرض ومغاربها ..." [1]

أخذِه لمعانى القرآن والفاظه ظهر فى موضعين، الأول فى قوله( ألم تجدوا ما وعدكم ربكم حقاً) مأخوذ من قوله تعالى على لسان أصحاب الجنة "﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾"[2] وقوله الثاني: (من إيراث المستضعفين مشارق الأرض ومغاربها) فهو من قول الله تعالى:" ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾"[3]. المتأمل لهذه الوسائل البيانية التي استمدها العباسيون من القرآن الكريم سواء كان استشهاداً بآياته أو أخذاً لمعانيه وألفاظه يجد أن جلها يتحدث عن أحقية العباسين بالخلافة من الأمويين الذين يعدهم العباسيون بأنهم أفسدوا في الأرض وظلموا أهلها حينما استولوا على مقاليد الحكم على حسب زعمهم . فجاء الله بهم أي العباسيين لإزالة الفساد والظلم عن الأرض، بعدما ملأها الأمويون جوراً وظلماً . فقالوا : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس آل البيت ويتطهركم تطهيراً﴾[4] . وقالوا ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونا وبئس القرار﴾ [5]. وكثيرة هي الخطب السياسية التي نهل منها خطباء العصر لعباسي الأول من معين القرآن الكريم سواء كان باستشهادات مباشرة بالآيات القرآنية أو غير مباشرة بأخذ معاني القرآن الكريم و ألفاظه وإدراجها في الخطبة، وأحسنوا انتقاءها و أجادوا توظيفها، فأضفت على

[1] ـ العلوي، جعفر البيتي، السيد، مواسم الأدب وآثار العجم والعرب، ج2، مكتبة المعارف ـ الطائف، ص115
[2] ـ سورة الأعراف الأية44
[3] ـ سورة الأعراف الأية137
[4] ـ سورة الأحزاب الآية 33 .
[5] ـ سورة إبراهيم الآية 29/28.

كلامهم جودة عبارة وحسن سبك، كما أكسبت كلامهم قوة وحجة ونصاعة برهان.

**ثالثاً : البيان عن طريق الاستشهاد بالشعر:**

من الوسائل البيانية التي لجأ إليها العباسيون الاستشهاد بالشعر، فقد استشهد عدد من الخطباء السياسين في العصر العباسي الأول في خطبهم بأبيات الشعر، مستعينين بها على الاقناع، والتأثير في جمهور مستمعيهم، لما للشعر من مكانة وقدر ووقع في النفوس ، فنجد داؤد بن علي يختم إحدى خطبة التهديدية بالبيتين التاليين، يقول فيها:" يها الناس: حتام يهتف بكم صريخكم؟ أما آن لراقدكم أن يهب من نومه؟ ... ، أغركم الإمهال حتى حسبتموه الإهمال، هيهات منكم وكيف بكم، والسوط في كفي، والسيف مشهر!"[1]

" حتى يبيد قبيلة فقبيلة * * ويعض كل مثقف بالهام

ويقمن ربات الخدور حواسرا * * * يَمْسحنَ عرض ذوائب الأيتام "[2]

وهما بيتان مناسبان من وجهة نظر الباحث لمضمون تلك الخطبة القائم على التهديد والوعيد لكل من تسول له نفسه غش أمته، أوالخروج على خلافة بني العباس. ونجد أن الخليفة أبي جعفر المنصور استشهد بالبيت التالي في خطبتين من خطبه :

" جهلاً عليً وجبناً عن عدوهم * * لبئست الخلتان الجهل والجبنُ"[3]

كانت المرة الأولى في خطبته عندما أخذ عبد الله بن الحسن وأهل بيته إلى السجن، حيث قام المنصور بعرض تاريخي للخلافة الإسلامية في خطبته منذ أن قام بها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن بعده أبناءه الحسن و الحسين و زيد بن على، وإلى أن وثب بنو أمية وشتتوا شمل العلويين، فقيض الله أهل خرسان شيعة وأنصاراً لإحياء شرف العباسيين، واعزاز مكانتهم فكان أن

---

[1] ـ جمهرة خطب العرب ،ج3 ،ص15 .

[2] ـ هذان البيان للشاعر المهلهل، قالهما يوم قتلت بني شيبان كليب بن وائل ، وقعدت قبيلة بني بكر عن نصرة بني شيبان: أنظر العقد الفريد، ج3، ص 163

[3] ـ هذان البيتان لقعنب بن أم صاحب ،أنظرها فى: مختارات شعراء العرب: الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، د ت، تح، محمد على البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة ، ص30

ظهر الحق للعباسيين، وصار إليهم ميراث النبي ﷺ، ليستقر الحق مكانه، فلما استقر الحق مكانه، وظهر وثب الأمويون على هذا الحق ظلماً وحسداً وبغياً وعدواناً وجهلاً وجبناً . أما المرة الثانية التي استخدم فيها المنصور البيت السابق ، فكانت عند خروج محمد وإبراهيم أبني عبدالله بن الحسن ، إلا أنه في هذه المرة سبقه بيت قبله، فقال فى خطبته تلك: "يأهل خراسان: أنتم شيعتنا وأنصارنا، وأهل دولتنا، ولو بايعتم غيرنا لم تبايعوا من هو خير منا، وإن أهل بيتي هؤلاء من ولد علي بن أبي طالب، وتركناهم والله الذي لا إله إلا هو والخلافة، فلم نعرض لهم فيها بقليل ولا كثير، فقام فيها علي بن أبي طالب، فتلطخ، وحكم عليه الحكمين، فافترقت عنه الأمة، واختلفت عليه الكلمة، ثم وثبت عليه شيعته وأنصاره وأصحابه، وبطانته وثقاته فقتلوه، ثم قام من بعده الحسن بن علي، فوالله ما كان فيها برجل، قد عرضت عليه الأموال فقبلها... ثم وثب علينا بنو أمية، فأماتوا شرفنا، وأذهبوا عزنا، والله ما كانت لهم عندنا ترة يطلبونها، وما كان ذلك كله إلا فيهم، وبسبب خروجهم عليهم، فنفونا من البلاد فصرنا مرة بالطائف. ومرة بالشام، ومرة بالشراة، حتى ابتعثكم الله لنا شيعة وأنصارنا، فأحيا شرفنا وعزنا بكم أهل خراسان، ودمغ بحقكم أهل الباطل، وأظهر حقنا، وأصار إلينا ميراثنا عن نبينا ﷺ، فقر الحق مقره، وأظهر مناره، وأعز أنصاره، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين، فلما استقرت الأمور فينا على قرارها من فضل الله فيها وحكمه العادل لنا، وثبوا علينا ظلمًا وحسدًا منهم لنا، وبغيًا لما فضلنا الله به عليهم، وأكرمنا به من خلافته، وميراث نبيه ﷺ:"[1]

"مالي أكفكف عن سعد وتشتمني * * ولو شتمتُ بني سعدٍ لقد سكنوا

جهلاً علينا وجبناً عن عدوهم * * لبئست الخلتان الجهل والجبن"[2]

وهي براعة من المنصور في اختيار ما يسعف به موقفه ، ويدعم به رأيه، مما يزيد من التأثير

[1] ـ جمهرة خطب العرب ،ج3، ص28 ومابعدها

[2] ـ هذان البيتان لقعنب بن أم صاحب أنظرها فى: مختارات شعراء العرب، للشجري، ص30

والاقناع في جمهور مستمعيه ، خاصة وأن المنصور يعد المؤسس الحقيقي لدولة بني العباس فكان جديراً به أن يتخير الألفاظ القوية ، والعبارات الدالة التى تؤسس رعبا حقيقيا فى نفوس أعدائه. ويقتبس صالح بن على*[1] في إحدى خطبه الناضحة بمعاني القوة والشدة أبياتاً من الشعر يقول فيها: يا أعضاد النفاق، وعبد الضلالة، أغركم لين أساسي، وطول إيناسي؟ حتى ظن جاهلكم أن ذلك لفلول حد، وفتور جد، وخور قناة، كذبت الظنون، إنها العترة بعضها من بعض فإذ قد استوليتم العافية، فعندي فطام وفكاك، وسيف يقد الهام، وإني أقول: "[2].

"أغـــركم بـــأني أكـــــــرم شـــيمة * * رفيـــق وأنـــي بـــالفواحش أخـــرق؟

ومثلـــي إذا لـــم يُجْـــزَ احســـنُ ســـعيه * * تكلـــم نعمـــــاه بفيـــه فتنطـــق

لعـــمري لقـــــــد فـــــــاحشتني فغلبتنـــي * * هنيئـاً مريئـاً أنـت بـالفواحش أرفـق"[3]

فكانت تلك الأبيات كاشفة عن صفات شخصية ، فهو قوي صنديد ، لكنه يجهل الفواحش في القول ويحســـن صـــنعه، مؤكـــدا بـــذلك علـــى نبـــل فروســـيته ونفاســـة شـــجاعته.

**رابعاً : التصوير البياني**

كان من ضمن الوسائل البيانية التي استخدمها الخطباء في خطبهم السياسية في العصر العباسي الأول التصوير البيانى، وهو التعبير بالصورة المحسنة عن المعنى الذهني، والذي يرتقي بهذه الصورة المرسومة فيمنحها الحياة الشاخصة، والحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني المجرد هيأة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حيى، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرتبة [4]؛ فتقترب من الأذهان، وتساعد على التوضيح ، وتبعث على

---

[1] ـ هو صالح بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح، وقد ولاه السفاح مصر سنة 132 ثم فلسطين، ثم ولاه مصر ثانية سنة 136، حتى قدم الخبر بموت السفاح في ذي الحجة سنة 136، فأقره المنصور على عمل مصر ثم خرج إلى فلسطين، ومات وهو عامل حمص بقنسرين. أنظره فى جمهرة خطب العرب ،ج3، ص18

[2] ـ جمهرة خطب العرب ج3 ص18

[3] ـ لا يستبعد أن يكون صالح بن على هو صاحب هذه الأبيات ، أنظر العقد الفريد لإبن عبد ربه ، ج4 ، ص163. وقيل أن صاحبها لقيط بن زرارة ، انظرها فى ديوان المعانى ، أبو هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد، د ت، ج1، ص81

[4] ـ انظر سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن الكريم ، ط6 ،1400هـ ـ 1980م ،دار الشروق القاهرة ، ص32 ، وما بعدها .

التصديق وقد أجاز النقاد للخطباء الاعتماد عليها كوسيلة تأثير في المستمعين بإبراز الأفكار وتوضيحها وتجسيمها [1]، وإن كانوا يرون أن التصوير والتخيل من خصائص الشعر، إلا أنهم أجازوا للخطباء الاعتماد عليها في خطبهم إذا أرادوا تقبيح حسن أو تحسين قبيح، أو" أن يقصدوا المبالغة في تحسين حسن أو تقبيح قبيح؛ فيتجاوزون حدود أوصافه الحقيقية، ويحاكونه بما هو أعظم منه حالاً، أو أحقر ؛ ليزيد النفوس استمالة إليه، أو تنفيراً عنه "[2]. ولدى اطلاعنا على عدد من الخطب السياسية التي قيلت في العصر العباسي الأول، لاحظنا لجوء بعض الخطباء إلى هذه الوسيلة، إيماناً منهم بأهمية التصوير البياني من الناحية الاقناعية وتأثيرها في المتلقين، وإذ الصورة البيانية تقوم مقام الحجة وتعويضها تبعاً لحال المخاطب المتلقي. من ذلك ما جاء في إحدى خطب داود بن علي عندما راح يصور للناس كيف أن حق الخلافة رجع للعباسيين، وكيف صار إليهم كذلك ميراث النبي ﷺ بإبداع الصورة التالية: "الآن أقشعت حنادس الدنيا، وانكشف غطاؤها، وأشرقت أرضها ، وطلعت الشمس من مطلعها وبزغ القمر من مبزغه واخذ القوس باريها، وعاد السهم إلى منزعه... "[3] ولنا أن نتخيل تلك الصورة البيانية التى رسمها داود بن علي في هذه الخطبة، من استواء أمر الحياة وانتظام مكوناتها في صورة متتابعة أحسن اختيارها، من انقشاع ظلمة الدنيا، وانكشاف غطاؤها حتى تظهر الحقائق ثم كيف أشرقت الأرض و السماء معاً، ففي أشرقت الأرض مجاز عقلي علاقته الزمانية لأنه أسند الإشراقة إلى الأرض والأرض لا تشرق وإنما تشرق الشمس عليها ولنا أن نتخيل صورة الشمس وهي بازغة من مطلعها بنورها المشرق وغرصها المضيء، وكيف بالقمر في مشهد آخر يبزغ من مكان منزله في أبهى حلة ، ومشهد صاحب القوس الذي أخذها بحقها، وكيف بذلك الرامي يشد إليه وتر قوسه

[1] ـ انظر ، القرطاجني ، أبو الحسن الحازم ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ،تج ، محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية تونس 1966م ص70 وما بعدها .
[2] ـ المصدر نفسه ، ص73 .
[3] ـ الطبري ،ج7 / ص73.

ليضع فيه السهم و في هذا كناية عن صفة استرداد الحق بالقوة وفي قوله عاد السهم إلي منزعه كناية عن صفة مجيء الأمن والسلام بعد رجوع الحكم إليهم . كلها صور تفصيلية متلاحقة يجتمع في الإطار الكبير الذي يستقبله متلقي تلك الصورة، رغبة من الخطيب في الوصول إلى صورة المشهد النهائي، ألا وهو حق العباسيين في الخلافة وميراث النبي ﷺ . وخطبته التي خطب بها الناس بالمدينة تفيد بيانا على قصر عباراتها إذ يقول فيها : " أيها الناس حتام يهتف بكم صريخكم، أما آن لراقدكم أن يهب من نومه ...، أغركم الإمهال حتى حسبتموه الإهمال هيهات منكم، وكيف وبكم ،والسوط كفي، والسيف مشهر ؟ "[1]. صورة جميلة رسمها داؤد بالكلمات، وصف فيها بني أمية بالاغترار، ذلك حينما إطمأنوا للحكم وظنوا أنه الاهمال من الله لهم في حكمهم ولم يكن يعلمون أنه من الله لهم، فهنا كناية عن صفة الراحة والطمأنينة في فترة حكمهم . وبعدها صورة تهديدية قوية ، فيها الصراخ والدوي ، بلغت من الروع منتهاه ومن الإرهاب أقصاه، إذ منظر السيف المشهر وقد سُل من غمده وصُوِّب نحو الرقاب، وتلك السياط المعدة لضرب كل من يخرج عليهم، كلها صور بيانة تزرع في نفس المستمع لتلك الخطبة الخوف والهلع بشكل واضح. إذ جعلهم أنعاما هو راعيها وفى كفه السوط . ويتوجه الخليفة السفاح في خطبته بالشام حين قتل مروان بن محمد بخطابه لأهل الشام معاتباً إياهم مصوراً حال آل حرب وآل مروان معهم فيقول: " نكص بكم يا أهل الشام آل حرب وآل مروان، يتسكعون بكم الظلم، ويتهورون بكم مداحض الزلق، ويطئون بكم حرم الله وحرم رسوله..."[2] والتصوير هنا في مشية ذلك المتعسف الظالم، وذلك التهور المفضي إلى الزلق والزِّلة، ثم يأتي بمشهد تصويري آخر يعيد فيه ذاكرة القوم إلى مقاتلة الحجاج بن يوسف لعبد الله الزبير ورميه

[1] - ابن عبده ربه ، العقد الفريد ، ج4 ، ص163 .
[2] - المرجع نفسه ، ج4 / 160 .

الكعبة بالمنجنيق على عهد عبد الملك بن مروان[1]. وهو في هذه الخطبة يعاتب أهل الشام على انقيادهم وراء الأمويين الذين انتهكوا الحرمات، فنجد أنه شبه أهل الشام بالخيل التى انتهكت بها حرمات الله ورسوله، وحذف الخيل ورمز إليها بشيء من لوازمها وهو الإطاء، على سبيل الاستعارة المكنية .

وعيسى بن علي عم السفاح ، يبدع صوراً بيانية حية أيضاً في خطبته حين قتل مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية، فيقول : " أما والله لقد كرهتم العيدان التي افترعوها، وأمسكت السماء درَّها والأرض ريعها، وقحل الضرع، جفز الفنيق[2]، واسمل جلباب الدين، وابطلت الحدود، وأهدت الدماء وكان ربك بالمرصاد..." [3].

الصورة البيانية أصبحت واضحة بما رسخ في قلوب العباسيين من كره للأمويين، وقد نقلت الصورة البيانية بجمالها ودقة وصفها المعنوي فبات ملموساً، والخفي فأصبح ظاهراً معايناً أمسكت مطرها شحاً على الأمويين كي لا يفيدوا منه، بقوله أمسكت السماء درها، فهنا استعارة مكنية حين شبه السماء بالضرع الذي يدر وحذف المشبه به وهو بهيمة الأنعام التي تدر، ورمز لها بشيء من لوازمها وهو الإدرار. والأرض بدورها كذلك أمسكت عن الزيادة والنماء، بقوله أمسكت الأرض ريعها، وهي كناية عن صفة القحط الذي أصاب البلاد من ظلم الأمويين. كذلك أصبح جلباب الدين باليًا وهنا استعارة مكنية بقوله أسمل جلباب الدين، حيث شبه الدين بإنسان وحذف الإنسان ورمزله بشيء من لوازمه وهو الجلباب على سبيل الاستعارة المكنية للدلالة على عدم حسن تطبيق شرائعه والتزام أوامره واجتناب نواهيه، فى عصر بني أُمية. كما تحدث عن حدود الدين التي تعطلت والدماء التي أهدرها الأمويون فهي تسيل من كل مكان. ونستخلص من كل هذا أن البيان فى

[1] ـ انظر الخضري ، محمد ، الدولة الأموية ، ط6 ، 1416هـ ـ 1995م ،ج2، دار المعرفة بيروت ،ص 327 وما بعدها.
[2] ـ الفنيق: الفحل المكرم لا يؤذي لكرامته على أهله ولا يركب، والجفز: كشمس السرعة في المشي، ولم تذكر كتب اللغة ضبط فعله، وجاء في اللسان: "الجفز: سرعة المشي يمانية، حكاها ابن دريد، قال: ولا أدري ما صحتها"، وفي رواية مواسم الأدب: "وجفل فنيق الشرك".
[3] ـ ابن أبي الحديد ، أبوحامد عزالدين بن هبة الله ، شرح نهج البلاغة،دت ،تح : محمدأبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب العربية القاهرة ،ص155 ، 156 .

الخطابة السياسية في العصر العباسي الأول تمثل في أربعة وسائل بيانية استعملها العباسيون من أجل إقناع الناس في أحقيتهم بالسلطة من الأمويين وهي :

1. الاستشهاد بنصوص القرآن الكريم، إذ أخذ الخطباء يوشحون خطبهم بالآيات القرآنية ووضعها بالمواضع الملائمة لها في الخطبة.

2. الاقتباس والتضمين التى أجاد الخطباء دمجها فى خطبهم وكأنها جزءاً من كلامهم، عندما أحسنوا توظيفها.

3.الاستشهاد بالشعر لما له من مكانة ووقع في النفوس في ذلك الزمان .

4. التصوير البياني: الذي كان إحدى وسائلهم فى التعبير عن الأشياء وإبراز صورتها على وجه يزيدها تألقاً وتأثيراً.

**الخاتمة:**

في ختام هذه الدراسة والتي تناولت الخطابة السياسية فى العصر العباسي الأول، والتي تحدثت عن الخطابة ونشأتها ووسائل البيان فيها إلى جانب بعض الخطب السياسية في العصر العباسي الأول، وجد الباحث أن الخطباء في هذا العصر حشدوا طاقاتهم البيانية وقدراتهم البلاغية في توظيف البيان لإقناع مستمعيهم بمواقفهم السياسيه، عبر وسائل هي: الاستشهاد بالقران الكريم نصوصا والفاظا ومعانٍ وإدراجها في الخطب، وكذلك الاستشهاد بالشعر، واتخاذ التصوير البيانى وهو مايلفت الى وعي الخطباء بدورهم في حشد الجماهير معتمدين على وسائل بيانية ملائمة لتحقيق ذلك، ما يؤكد أن من آمن بقضية لن يعدم الوسائل لإقناع الآخرين بها. ومن كل هذا.

**توصلت الدراسة الى النتائج التالية :**

1.سعى العباسيون إلى التأكيد على أحقيتهم فى الخلافة بسبب قرابتهم من النبي ﷺ .

2. سعى العباسيون إلى التأكيد على حقهم في ميراث النبي ﷺ .

3. أن الخطابة كانت الأداة الأولي فى بيان حق العباسين في الخلافة، من خلال استغلال خطبائهم لوسائل البيان المختلفة.

4. إن القران الكريم والشعر العربي كانا معينا لاينضب لخطباء العصر العباسي الأول، فاكثروا من الاستشهاد بهما.

**التوصيات:**

1. إجراء مزيد من البحوث حول فن الخطابة، وبيان دورها فى الأحداث السياسية والحربية والاجتماعية وإسهامها في إثراء الأدب العربي.

2. دراسة فن الخطابة فى العصور الأدبية المختلفة، لإعطاء صورة كاملة عن هذا الفن، ومكانته بين الفنون النثرية الأخرى .

3. يوصي الباحث طلبة العلم أن يدرسوا الخطابة في العصر العباسي الأول دراسة لغوية وبلاغية.

## المصادر والمراجع:


1) القران الكريم
2) الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد ،المستطرف في كل فن مستظرف، ط1 1419هـ عالم الكتب بيروت .
3) الأثير، أبو الفتح ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: محمد محي الدين د ت، ج2، المكتبة العصرية: صيدا بيروت .
4) أدهم، محمد، فنون التحرير الصحفى بين النظرية والأسلوب، د ت، مكتبة الأنجلو مصر.
5) أرسطو طاليس، الخطابة، ترجمة، المكتبة العربية القديمة،ت ح: عبدالرحمن بدوي، دت مكتبة النهضه العصرية القاهرة .
6) الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي، ط7، 1988م، دار المعارف مصر.
7) الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله، مختصر كتاب العين ، ت ح هادي حسن حمودي ط1 1419هـ -1998م، وزارة التراث القومي والثقافة عمان.
8) أيوب، حسن محمد، تبسيط العقائد الإسلامية، ط5، 1403هـ - 1983م، دارالندوة لبنان.
9) البحراني، كمال الدين هيثم ، مقدمة شرح نهج البلاغة والخطابة وفضائل الإمام على ، تح عبد القادر حسين، ط1 1997م، دار الشرق بيروت لبنان .
10) بديع، عبدالحكيم، النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، د ت، الناشر لجنة البيان العربي.
11) البستاني ، بطرس محيط المحيط، د ت، دار الكتب العلمية بيروت.
12) البغدادي، أبوعلى إسماعيل بن القاسم القالي، ذيل الأمالي والنوادر، دار الكتب العلمية ـ بيروت، لبنان 1423هـ - 2002م.
13) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبين ، ط7، تح ، عبد السلام هرون، 1418هـ - 1998م، مكتبة الخانجي،القاهرة .
14) الجارم، علي، ومصطفي امين، البلاغة الواضحة، د ت، دار المعارف.
15) الجرجاني، دلائل الإعجاز، علق عليه محمود شاكر، د ت مكتبة الخانجي القاهرة.
16) الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، أسرار البلاغة ،ط1 1442هـ 2001م تح عبد الله هنداوى، دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
17) الحازمي، خالد بن حامد، الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية، ط1 -1424هـ، الناشرالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

18) ابن حبان، محمد بن أحمد، الإحسان في تقريب ابن حبان ، ط1 -1408هـ -1988م، تح: شعيب الأرناؤط، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.
19) الحسيني، محب الدين أبو الفيض السيد محمد، تاج العروس من جواهر القاموس مجموعة من المحققين، د ت: دار الفكر للطباعة والنشر .
20) الحلبى، صفي الدين أبو الفتح عيسى بن البحتري، إنس المسجون وراحة المحزون، تح محمد أديب الجار، ط1 1997م، دار صادر بيروت، لبنان.
21) الحوفى، أحمد، فن الخطابة، د ت، نهضة مصر، القاهرة .
22) الخرافى، عبد المحسن عبد الله، لطائف الأدب في استهلال الخطب، ط1 1433هـ - 2012م وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت .
23) الخضري، محمد، الدولة الأموية، ط6، 1416هـ - 1995م، ج2، دار المعرفة بيروت .
24) الخفاجى، بان، مراعاة المخاطب في النحو العربي، ط1، 2008م، دار الكتب العلمية بيروت .
25) خفاجي، محمد عبد المنعم ، وآخرون، الأسلوبية والبيان العربي، ط1، 1412هـ - 1992م الدار المصرية .
26) دويدري، رجاء وحيد ، البحث العلمي أساسيات النظرية وممارسته العلمية، ط1، 1421هـ - 2000م، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان.
27) ديورانت، وليام جيمس، قصة الحضارة، ترجمه زكي نجين وآخرون، ج 8، عام النشر 1408 هـ - 1988م، دار الجيل بيروت، المنظمة العربية لتربية والثقافة والعلوم، تونس .
28) ابن رشيق ،أبوالحسن علي رشيق القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر ،ط2 1981، ت ح محمد محي الدين، دار الجيل بيروت .
29) زلط، عبد الرحيم محمود، الفنون الأدبية و أثرها في الحياة،1978 م، مكتبة الشاب مصر
30) الزمخشري، جار الله أبو القاسم بن عمر،أساس البلاغة،ج1، د ت، مكتبة لبنان بيروت .
31) أبوزهرة ، محمد الإمام ، الخطابة أصولها، تاريخها في أزهر عصورها عند العرب، د ت دارالفكر العربي القاهرة .
32) زيات، أحمد حسن، تاريخ الأدب العربي، د ت، دار الشروق العربي، .
33) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله، تيسير الكريم في تفسير كلام المنان، ط 1، تح : عبدالرحمن بن معلا اللويحق، 1420هـ - 2000م ، ج1 ، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

34) السيوطي، الإمام الحافظ جلال الدين: تاريخ الخافاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية بيروت لبنان،1989م .
35) الشايب، أحمد، الأسلوب، ط12، 2003م ، مكتبة النهضة العصرية، بيروت، لبنان.
36) الشريشى، أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن، شرح مقامات الحريري، تح محمد أبو الفضل، ج3 د ت، المكتبة العصرية صيدا، بيروت لبنان .
37) الشريم، سعود بن إبراهيم بن محمد، الشامل في فقه الخطيب والخطبة، د ت دار الوطن للنشر .
38) شلبي، عبد الجليل عبده، الخطابة وإعداد الخطيب، ط3،1408هـ - 1987م دار الشروق القاهرة .
39) شيخو، لويس اليسوعى، علم الأدب في الخطابة، ط3،ج2، مطبعة الأباء اليسوعيين 1926 بيروت لبنان .
40) الصفار، ابتسام مرهون، الأمالي في الآدب الإسلامي، دت، دار المناهج 1426هـ 2006م ، ص 264
41) صفوت، أحمد زكى ، جمهرت خطب العرب ، ج3 ، ط1 ، 1352هـ - 1930م ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر.
42) الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد، الدولَة الأمويَّة عَواملُ الازدهارِ وَتَداعيات الانهيار،ج2 ، ط2،1429 هـ - 2008 م ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.
43) ضيف، أحمد شوقي، الفن ومذاهبه في النثر، ط10، د ت، دار المعارف مصر.
44) ضيف، شوقي ، تاريخ الأدب العربي، الأدب الإسلامي، العشرون، د ت، دار المعارف.
45) ضيف،شوقي، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي ، ط11 ، د ت ، دار المعارف
46) طليمات، غازي، ولأشقر، عرفات، الأدب الجاهلي قضاياه وأغراضه، أعلامه وفنونه، ط 2، دار الفكر، دمشق.
47) أبوالطيب، محمد صديق ، فتح البيان في مقاصد القرآن ، ج4، راجعه عبدالله إبراهيم الأنصاري عام النشر 1412هـ - 1992م - المكتبة العصرية للطباعة والنشر .
48) ابن عاشور،محمد الطاهر ( الشريف)، أصول الخطابة والإنشاء، ط1339هـ ، مطبعة النهضة تونس.
49) ابن عبد ربه، أبوعمرو أحمد بن محمد، العقد الفريد ، تح:أحمد أمين و أحمد الزين، إبراهيم الأنباري ، ط2 1381هـ - 1962م، ج2 – مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة

50) عتيق، عبد العزيز، علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ،1405هـ - 1985م . لبنان
51) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، الصناعتين، ط1 1317هـ-1952م ،تم على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة مصر.
52) عطوى، دقيق خليل ، صناعة الكتابة علم البيان، علم المعاني ، ط1-1989م، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان.
53) عطية، مختار، الإيجاز فى كلام العرب ونص الإعجاز، دت، دار العروبة الجامعية
54) علوان، شعبان، نعمان شعبان، من بلاغة القرآن، ط5،1981م، الدار العربيه للتوزيع والنشر القاهرة، مصر
55) عمارة، محمود محمد محمد، الخطابة بين النظرية والتطبيق، ط1 1418هـ-1997م، مكتبة الإيمان المنصورة. مصر.
56) عيسى، عبد الرحمن، أدب الخطابة الدينية في الدعوة الإسلامية، ط1-1416هـ-1995م، دار الإيمان- بيروت لبنان.
57) غريب، جورج، صدر الإسلام ، ط4، 1983م، دار الثقافة بيروت لبنان.
58) فارس، أبوالحسن، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، د ت، دار الجيل بيروت.
59) فياض، نيقولا، الخطابة، دار الهلال 1930م . مصر
60) الفيروزبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب القاموس المحيط، تح مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – ط 8، 1426 هـ - 2005 م، لبنان.
61) القاسم، محمد أحمد، محي الدين، علوم البلاغة البيان والبديع والمعاني، ط1 2003م، المؤسسة الحديثة للكاتب ، طرابلس لبنان .
62) القلقشندي، أبو العباس أحمد ، صحيح الأعشى، ج2، ط2 1928م، دار الكتب المصرية
63) القمى، أبو جعفر محمد بن على الحسين بن بابوي، عيون أخبار الرضا، ج1، مؤسسة الأعلمى بيروت، 1404هـ - 1984م .
64) القوال، أنطوان، فن الخطابة، ط1- 1996م، دار الثقافة بيروت لبنان .
65) ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله محمد،الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان، ط2 1327هـ صححه محمد بدر الدين النعساني، مطبعة السعادة مصر.

66) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية تح:عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط1 دار هجر للطباعة والنشر1424هـ،2003م مصر.
67) المبرد،أبو العباس محمد بن يزيد ، التعازي والمراثي، تح:محمد الديباجى، مطبعة زيد بن ثابت القاهرة 1396-1976م .
68) ابوالمجد، أحمد السيد، الواضح في البلاغة، ط1 1431هـ - 2010م، دار جرير للنشر والتوزيع .
69) محفوظ، الشيخ على، فن الخطابة وإعدد الخطيب، د ت، دار الاعتصام، القاهرة مصر.
70) ابن مسكويه، أبو على أحمد بن محمد يعقوب مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم،:سيد كسروي ط1،1424هـ- 2003م،دار الكتب العلمية بيروت .
71) المصطاوى، عبد الرحمن، مرشد الخطيب ودليل الباحث ،ط1 2002م، دار المعرفة بيروت لبنان.
72) مكتبي، نذير، خصائص الخطبة والخطيب،ط1،1409 هـ،دار البشائر الإسلامية، بيروت.
73) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الإمام، لسان العرب، تح: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية بيروت 1430هـ - 2009م .
74) أبوموسى، محمد، دراسة تحليلية لمسائل البيان، ط3،1413هـ ، مكتبة وهبة القاهرة
75) نجم، محمد يوسف، فن المقالة، ط1، 1996، دار صادر بيروت لبنان.
76) الهاشمي، احمدبن إبراهيم بن مصطفي، جواهر البلاغة فى المعاني والبيان والبديع،د ت تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية - بيروت .
77) الواعى، توفيق: الخطابة وإعداد الخطيب – ط2 1417هـ- 1996م- دار اليقين مصر .
78) وهبة، مجدي، وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2 1984م، مكتبة لبنان، بيروت.

# فهرس الموضوعات


| الرقم | الموضـــــــــــــوع | | الصفحة |
|---|---|---|---|
| 1 | استهلال | | أ |
| 2 | الإهداء | | ب |
| 3 | الشكر والعرفان | | ج |
| 4 | المستخلص | | د |
| 5 | Abstract | | هـ |
| 6 | المقدمة | | 1 |
| 7 | تمهيد | | 13 |
| 8 | **الفصل الأول : الخطابة** | | |
| 9 | المبحث الأول | الخطابة لغة اصطلاحاً | 25 |
| 10 | المبحث الثاني | نشأة الخطابة | 31 |
| 11 | المبحث الثالث | أركان الخطابة وعناصرها | 47 |
| 12 | المبحث الرابع | الخطابة فى العصر العباسي الأول | 58 |
| 13 | **الفصل الثاني : وسائل البيان في الخطابة** | | |
| 14 | المبحث الأول | علم البيان | 72 |
| 15 | المبحث الثاني | وسائل لأساليب البيان | 82 |
| 16 | المبحث الثالث | التحليل البياني فى الخطب السياسية في العصر العباسي الأول | 91 |
| 17 | **الخاتمة** | | 104 |
| 18 | النتائج والتوصيات | | 104 |
| 19 | المصادر والمراجع | | 106 |
| 20 | فهرس الموضوعات | | 111 |